سلسلة الدراسات القرآنية (٣)





الهيئة العامة للعناية بطباعة ونشر
القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما
هيئة حكومية

طرق توظيف علوم القرآن الكريم في دراسة التفسير

إعداد
أ.د. طه عابدين طه حمد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
بجامعة أم القرى - مكة المكرمة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

طرق توظيف علوم القرآن الكريم في دراسة التفسير

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



الهيئة العامة للعناية بطباعة ونشر
القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما
هيئة حكومية

www.qsa.gov.kw

@QSKuwait

+965 22202194

+965 22202131

سلسلة الدراسات القرآنية (٣)



الهيئة العامة للعناية بطباعة ونشر
القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما
هيئة حكومية

طرق توظيف علوم القرآن الكريم في دراسة التفسير

إعداد
أ.د. طه عابدين طه حمد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الهيئة

الحمد لله منزل الكتاب، على ذوي العقول والألباب، فلا يدخله شكٌّ أو ارتياب، والصلاة والسلام على نبي الهدى، وعلى آله وصحبه أئمة الدجى، والتابعين لهم بإحسان ومن اقتفى.

أما بعد:

فإن من تمام نعمة الله تعالى أن يسَّر لنا تدبر كتابه العظيم وتدارسه، وجعله مفتاحاً للعلم والحكمة، ففيه أخبار الأنبياء والرسل، وفيه الهداية والبيان لمن تاهَ عنه بعيداً في سرادق الضلال.

وإن من أشرف العلوم وأجلِّها وأنفعها: العلم بكتاب الله تعالى وتفسيره، ومن هذا المنطلق فإنه يسرنا أن نقدم للقراء الكرام الإصدار الثالث من سلسلة «الدراسات القرآنية»، وهو بعنوان «طرق توظيف علوم القرآن الكريم في دراسة التفسير»، من إعداد فضيلة الأستاذ الدكتور/ طه عابدين طه حمد (أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة).

وتشكل هذه الرسالة مفتاحاً من مفاتيح الدخول في علوم القرآن فهماً وتعظيماً، بحيث تسهل على الباحث وطالب العلم الشرعي بعض الأمور التي تحتاج إلى توضيح وبيان، وقد أجاد مؤلفها وأفاد في انتقاء المباحث المفيدة التي تركز على جواهر الأمور، والخطوط العامة التي تبين للسالك علامات الطريق.

ونحن إذ نقدم هذه الرسالة بمادتها العلمية المنتقاة والتي تبين سعة علمه واستيعابه لمصادر علوم القرآن والتفسير؛ فإننا نأمل أن تكون مرشداً لمن أراد أن يتوسع في هذا الباب أو أن يزيد أو يضيف ما فيه فائدة؛ فالعلم لا ينتهي عند أحد، ولا يحيط به إلا الله عز وجل القائل: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف :٧٦]، والحمد لله رب العالمين.

د. فهــد صيــاح الديحـــاني

نائب المدير العام للبحوث والدراسات

المقدمة

الحمد الله الذي علم القرآن،خيرَ الكلام، وأصدقَه، وأكملَه، وأعدلَه، وجعلَه للحياةِ نوراً مبيناً، وللرسالةِ برهاناً ودليلاً، وللمؤمنين ملاذاً أميناً، وللجنةِ قائداً وبشيراً، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرةِ الرد، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، قال تعالى:﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة :١٦].والصلاةُ والسلامُ على الذي أنزلَ على قلبهِ الطاهرِ النورِ المبين، والصراطِ المستقيم، المشرفُ بقولهِ تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾[محمد :٢]، وعلى آلهِ الطاهرين، وصحبهِ الصادقين، ومن سارَ على دربِهم إلى يومِ الدين.

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ - من أهم العلوم التي لا يختلف حولها عالمان ــ علوم القرآن الكريم ــ وذلك لارتباطها بخير كتاب أنزله الله هدى وشفاء ورحمة؛ ولذا كانت جهود العلماء في الكتابة والتأليف فيها كبيرة، فخصصوا لها المصنفات، ونوعوا في فنونها الكتابات بصورة يصعب حصرها، فضبطت الكثير من مصطلحاتها، وخدمت العديد من مباحثها، وقد جاء هذا البحث ليس بهدف الكتابة في علم من علوم القرآن؛ ولكنه بهدف بيان طرق توظيف علوم القرآن في خدمة القرآن من جوانبه المختلفة بصورة عامة، والتفسير بصورة خاصة، كخطوة مهمة للتعامل مع هذا الفن، وهو جانب ندرت فيه الأبحاث والكتابات.

٢ - العلوم الخادمة للتفسير من علوم القرآن كثيرة؛ ولكن توظيف العلماء لهذه العلوم اختلفت وتنوعت وتعددت من خلال كتب التفسير التي دونت عبر القرون الماضية حسب اتجاه كل مفسر، ومنهجه، وفكره، ومذهبه، وقد تجد في كل تفسير حُسن توظيف لبعض علوم القرآن، مع إهماله لعلوم أخرى مهمة، أو استدرك عليه طريقة توظيفه لبعض العلوم لدرجة تنقص من قدر تفسيره وتحط من منزلته، فجاء هذا البحث ليلبي حاجة ملحة كثيراً ما نسأل عنها: ما الطريقة المثلى في توظيف علوم القرآن الخادمة للتفسير، للوصول لفهم المعنى الرباني؟! فهدفت الدراسة لوضع منهج علمي يُحسن من خلاله المفسر والدارس للتفسير توظيف علوم القرآن في خدمة فهم وتدبر معاني الكتاب المجيد وفق ما استقر عليه رأي العلماء، دون مشغلات صارفة من: روايات ضعيفة، وإسرائيليات منكرة، ولغويات مُشغلة، وأفكار شاذة ونحوها؛ لأن الناس اليوم في حاجة إلى العلوم التي لها شأن بالتفسير وهداية القرآن الكريم؛ وليس لهم طاقة لغيرها من تفريعات علوم الآلة الأخرى.

٣ - الوقوف في وجه الدعوات المنحرفة التي تطالب بفهم جديد للقرآن الكريم بعيداً عن هذه العلوم، مما يتطلب إبراز منهج علمي واضح في حسن توظيف تلك العلوم التي ضُبط بها مسار علم التفسير من الانحراف، ونستطيع من خلاله الحفاظ على إرثنا العلمي العظيم دون نبذٍ أو تقليل لجهود العلماء السابقين، ونفتح الباب واسعاً وفق الضوابط التي وضعوها من خلال هذه العلوم للأواخر لمزيد من التدبر والاستنباط بما يلبي حاجة العصر، ويسهم في حل مشكلاته، فإنَّ القرآن ظلَّ وسيظل المورد الذي تقصده الأمَّة الإسلامية في كلِّ عصر من العصور فتجد فيه

الشفاء لعللها وقضاياها المتجددة، وأحوالها المتغيرة، ومتى عجزت الأمة عن ذلك عجزت عن دورها الرسالي، وتضاءلت بين العالمين .

ثانياً : أهداف البحث :

يهدف البحث إلى بيان طرق توظيف علوم القرآن في خدمة القرآن الكريم بصورة عامة، والتفسير بصورة خاصة ، حتى يتحقق المقصد الأسمى من نزول القرآن الكريم: وهو معرفة معانيه والاهتداء بهديه القويم؛ وذلك من خلال امتلاك المفسر أمثل السبل في توظيف العلوم التي هي أدوات للتعامل مع كتاب الله، وفهم معانيه وأسراره، وفق منهج قويم مسدد. وحتى يتحقق هذ الهدف جاء هذا البحث بعنوان: طرق توظيف[1] علوم القرآن الكريم[2] في دراسة التفسير .

ثالثاً : الدراسات السابقة :

لم أقف ـ في حدود بحثي واطلاعي ـ على بحث أو كتاب علمي تحدث عن تصنيف مادة علوم القرآن الكريم في خدمتها للكتاب العزيز، أو بيَّن طرق توظيف علوم القرآن في دراسة التفسير بالطريقة التي يعالجها هذا البحث.

(١) التوظيف: من (وظف) الواو والظاء والفاء:كلمة تدلُّ على تقدير شيء.يقال:وظَّفْتُ له، إذا قدّرتَ له كلَّ حينٍ شيئاً من عمل أو طعام أو رزق وغير ذلك في زمن معين، والتَّوْظِيفُ: تَعْيِينُ الوَظِيفَةِ، والمواظفة: المُوافَقَة والمُوَازَرَة والمُلازَمَة يُقال: واَظْفتُ فُلاناً إلى القَاضي:إذا لازَمْتَه عِنْدَه. انظر: مقاييس اللغة(٦/ ١٢٢)، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠٤٢)، وتاج العروس(ص: ٦١٦٤). والمراد بتوظيف علوم القرآن الكريم في دراسة التفسير هنا:«الطريقة التي يتبعها ويقدرها ويلتزمها المفسر في توظيف علوم القرآن الكريم في التفسير».

(٢) والمراد بعلوم القرآن الكريم هنا باعتباره فناً مدوناً حتى نحصر الحديث في العلوم الخادمة للقرآن الكريم، التي لا بد من تعلمها لكل مقبل على فهم ودراسة القرآن الكريم. انظر: المنتقى في علوم القرآن الكريم ، د. طه عابدين طه (١/ ٢٨) .

وقد خلصت إلى هذه الدراسة بعد قراءة متأنية، ودراسة وبحث وتنقيح للكثير من مسائل التفسير وعلوم القرآن الكريم، مع ممارسة طويلة للتدريس والتأليف فيهما .

آمل أن تسد هذه الدراسة ثغرة رآها الباحث، وتشفي علة عانيت منها زماناً، فتسهل للطالبين مقصدهم، وتحقق للطامحين مرادهم في بيان طرق توظيف علوم القرآن الكريم في دراسة التفسير، أو تسهم في حراكٍ علمي ينتهي لما هدفت إليه، وأكون قد سبقت في معالجة جانب مهم في حاجة للكتابة فيه، والفضل كله لله الذي يختص برحمته من يشاء ثم للسابقين المصنفين في هذا العلم، فنحن على خطاهم نسير ومن نور علمهم نقتبس، والحمد لله أولاً وآخراً .

رابعاً : منهج البحث وأداته :

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي لجمع وتتبع ما ورد في علوم القرآن الكريم، والمنهج الاستنباطي ليقوم الباحث عن طريقه على تأمل جزئيات المادة العلمية لاستنباط الأحكام المتعلقة بالدراسة، وكانت أداته تحليل محتوى الأدلة ذات الصلة بالموضوع، وما كتبه علماء التفسير،وعلوم القرآن، بغية الوصول إلى أهداف البحث.

خامساً : منهج الباحث:

سلكتُ المنهج العلمي المتفق عليه، إلا أني اكتفيت في كل نقطة بما يوضح فكرتها، وأعرضت عن التعريف عن العلوم التي تُحدِّث عنها؛ لأنها علوم معلومة لا تخفى على أي مشتغل بالتفسير، كما أعرضت عن ترجمة

الأعـلام؛لأن غالبهم من أئمة التفسير المعروفين حتى أوفر مساحة لأصل الموضوع الذي هدفت إليه، مع عدم ذكر الأمثلة خشية الإطالة إلا في مواضع كان لابد من ذكرها .

سادساً : خطة البحث :

قسمت هذا البحث إلى: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، جاء على النحو التالي :

المقدمة: تكلمت فيها عن: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وعن أهداف البحث، والدراسات السابقة، وعن منهج البحث وأداته، وعن منهج الباحث، وعن خطة البحث .

المبحث الأول: فضل علوم القرآن الكريم ومجالات توظيفها .

المبحث الثاني: كيفية توظيف علوم القرآن الكريم في خدمة التفسير. وقسمت هذا المبحث إلى أربعة مطالب على النحو التالي :

المطلب الأول: العلوم التي يوظفها المفسر دائماً في التفسير.

المطلب الثاني: العلوم التي يوظفها المفسر عند توفر الحاجة إليها .

المطلب الثالث: المسائل التي تؤخذ في التفسير على حذر .

المطلب الرابع: المسائل التي تُجْتَنَب في دراسة التفسير .

ثم الخاتمة: وهي قد شملت أهم النتائج والتوصيات .

ثم فهارس: للمصادر والمراجع، والموضوعات .

وفي ختام هذه المقدمة: أسأل الله العون والتوفيق، وأرجو بفضله البركة والقبول، باسمه ابتدئ، وعليه أتوكل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحميد،والحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول

فضل علوم القرآن الكريم ومجالات توظيفها

إنَّ علوم القرآن كثيرة، وضروبها عديدة، وهي بلا شك من أشرف العلوم على الإطلاق؛ وذلك لتعلقها بخير كلام أنزله الله تعالى، فلما كان القرآن خير الكلام كانت علومه خير العلوم، وهي علوم مهمة لكل مشتغل بتعلم القرآن الكريم، من رزقها فقد رزق خيراً كثيراً، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة :٢٦٩]. قال ابن عباس رضي الله عنه :(الحكمة: يعني المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله)[١]. وعن أبي العالية ـ رحمه الله ـ قال: «الحكمة: الكتاب والفهم فيه، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة»[٢] . ومن هنا كان «من يعطى علم القرآن، فقد أعطي خيراً كثيراً »[٣] .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة :٦]: «هو القرآن »، وهو قول على بن أبي طالب »[٤]، قال

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٢/ ١٥٨٠) ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٣١) ، وصححه الدكتور حكمت بن بشير ياسين في التفسير الصحيح (١/ ٣٧٨).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (٢/ ١٥٨٠) ، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ١٥٢) ، وتفسير القرآن العظيم ابن كثير (١/ ٧٠٠).

(٣) بحر العلوم ، السمرقندي (١/ ٢٢٤).

(٤) معالم التنزيل للبغوي (١/ ٦).

أبو حيان الأندلسي ـ رحمه الله ـ « يقول: أرشدنا إلى علمه »[١]، وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: « علم القرآن ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال»[٢]، وقال علي بن أحمد الحرالي صاحب كتاب مفتاح الباب المقفل لفهم كتاب الله المنزل ـ رحمه الله ـ: « وأكمل العلماء من وهبه الله تعالى فهماً في كلامه، ووعياً عن كتابه، وتبصرة في الفرقان، وإحاطة بما شاء من علوم القرآن، ففيه تمام شهود ما كتب الله لمخلوقاته من ذكره الحكيم، بما يزيل بكريم عنايته من خطأ اللاعبين إذ فيه كل العلوم »[٣] .

ولأهمية علوم القرآن كان الحديث عن بعض مباحثه مبكراً منذ عهد الصحابة ﷺ؛ مثل المكي والمدني، وأسباب النزول، والنسخ، والمحكم والمتشابه، والقراءات، وغيرها. وقد جعلها العلماء مقدمات لتفاسيرهم، وأفردت لها المصنفات، وأصبحت مادة علمية تدرس للطلبة قبل دراسة التفسير باعتبارها مدخلاً ومقدمات مهمة لدراسة التفسير؛ ولكن هذه المادة التي تدرس للطلاب وكتب حولها العلماء تحت مسمى علوم القرآن الكريم ليست كلها ذات صلة بالتفسير، بل هنالك من لا صلة له بالتفسير بصورة مباشرة، ويمكن فهم الآية بدونها دون أن يكون هنالك خلل في منهجية الفهم؛ ولكن الجهل بها يؤثر في المنهجية الكلية في التعامل مع القرآن الكريم.

وهنالك مباحث من علوم القرآن تمثل أدوات مهمة لفهم القرآن الكريم لا بد من الإلمام بها قبل دراسة التفسير، لأنها من صميم علوم التفسير، فمن

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (١/ ٣٤٠) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٧) ، لعله أراد أصحاب الهمم العالية .

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٤) .

هنا حرص الباحث أن يبين أولاً المجالات التي تخدمها مادة علوم القرآن الكريم بصورة عامة، ثم يبين بعد ذلك كيفية توظيف العلوم الخاصة بالتفسير في خدمته، وقد برز للباحث من خلال الاستقراء لمفردات هذا العلم أنَّ علوم القرآن خادمة للقرآن الكريم في سبع مجالات، تبرز من خلالها شرف هذا العلم وأهميته وأهدافه، ويحسن من معرفتها حسن توظيفها، وهذا ما تبينه النقاط التالية :

أولاً : مجال التعريف بعظمة القرآن الكريم :

من المجالات العظيمة والأهداف الكبيرة التي تخدمها مادة علوم القرآن الكريم التعريف بعظمة القرآن الكريم وجلاله وجماله، بما يدفع المؤمن إلى محبته واتباعه؛ لأن عدم تعظيم القرآن الكريم والاستهانة به يعد ناقضاً من نواقض الإيمان؛ إذ الاستهانة به وعدم تعظيمه استهانة بمن تكلم به ﷻ، ولذا وصف الله المستهزئين به أو بآياته أو برسوله بالمجرمين، ووعدهم بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة :٦٥- ٦٦]، ومن عرف عظمة القرآن الكريم أحبه، ومن أحبه أكثر من تلاوته،وتشوق للاستماع لآياته، وأطال نظره في تدبر معانيه، وحمل جوارحه للعمل بهديه، ومن هنا كان تعظيم القرآن الكريم ومحبته هو مفتاح القلب للإقبال على كتاب الله تلاوة وحفظاً وفهماً وعملاً وتعليماً .

فأول خطوة تدفع المؤمن نحو تعلم القرآن الكريم وتقوي عزمه في الإقبال عليه، والتأثر به، ووجود نفعه في قلبه بعد معرفة عظمته زيادة محبته في قلب المؤمن؛ لأنَّه « من المعلوم أن القلب إذا أحب شيئا تعلق به، واشتاق إليه، وشغف به، وانقطع عما سواه،والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته، واجتمع على فهمه ووعيه فيحصل بذلك التدبر المكين، والفهم العميق، وبالعكس إذا لم يوجد الحب فإنَّ إقبال القلب على القرآن يكون صعباً، وانقياده إليه يكون شاقاً لا يحصل إلا بمجاهدة ومغالبة،وعليه فتحصيل حب القرآن من أنفع الأسباب لحصول أقوى وأعلى مستويات التدبر»[١] .قال الشنقيطي:«والله ما دخلت محبة القرآن إلى قلب عبد فأعقبها تطبيق هذا القرآن إلا كان أشد الناس تأثراً به، وإن من دلائل السعادة والإيمان الحقة محبة القرآن، ومحبة سماعه وتلاوته والحياة والعيش معه، هذا هو الذي سعد به السلف الصالح، ونالوا به مراتب الفوز والكرامة، وأذاقهم الله به حلاوة الإيمان، فعاشوا عيشة طيبة هنيئة راضية، ما بين ذكر وشكر، وكلام مستقيم، وفعل قويم، كل ذلك حينما كانوا مع القرآن، فمن كان مع القرآن كان الله معه، ومن عاش مع القرآن أحيا الله قلبه بالقرآن، وما حييت القلوب بشيء مثل القرآن، ولا استنارت ولا أشرقت بشيء مثل كلام الرحمن، وإذا لم تسعد القلوب للقرآن فلأي شيء ستسعد، وإذا لم تهتد بالقرآن فبأي شيء تهتدي؟ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف :١٨٥] »[٢]

(١) مفاتح تدبر القرآن ، د . خالد بن عبد الكريم اللّاحم (ص :٢٠) .

(٢) دروس للشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي (٤٥/ ٦) ، مفرغ في المكتبة الشاملة الالكترونية لم أقف عليها في مطبوعاته .

ومن هنا جاءت بعض علوم القرآن الكريم خادمة لهذا الجانب المهم لكل متعلم للقرآن الكريم من ذلك: علم الإيمان بالقرآن وحقيقة الإيمان به[١]، وعلم الاستشفاء بالقرآن، وعلم الوحي من حيث تعريفه، وأنواعه، ومصدره وكيفيات نزول الملك به، وأسماء القرآن الكريم وصفاته، وفضائل القرآن الكريم، وفضائل بعض سوره وآياته،وخصائص القرآن الكريم، وآداب تلاوته وتعلمه، وحكم أخذ الأجرة على تعليمه، ونسيان القرآن الكريم، وعواقب هجره، والعلوم المستنبطة، وأسرار فواتح السور وخواتمها، والسجود عند تلاوة بعض آياته، وغيرها .

ثانياً: مجال الإلمام بتاريخ القرآن الكريم :

القرآن الكريم منذ نزوله وإلى يومنا هذا مرَّ عبر تاريخه الطويل بمراحل مهمة حتى وصل إلينا كما أنزل، وسيبقى كذلك لأن الله تعالى تكفل بحفظه، قال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، ولكن المؤسف حقاً أن تظهر في الأمة فرقة تكذب الله في خبره، وتشكك في ثوابت الدين ويقينياته، فتطعن في هذا الجانب مستندة على أكاذيب واهية، فجاءت مباحث في علوم القرآن لتبين لنا الدقة المتناهية التي حظي بها القرآن الكريم من أول ما نزل إلى أن وصل إلينا، بهدف زيادة الثقة واليقين بوصول القرآن الكريم إلينا بدون زيادة أو نقصان، من هذه المباحث: الحديث عن ثبوت

(١) هذا العلم يدرس اليوم ضمن مفردات العقيدة، والأولى أن يكون ضمن مفردات علوم القرآن الكريم، لأنه الحق الأول للقرآن الكريم، والدافع القوي لتعظيمه ومحبته، وكل ما ضعف الإيمان ضعف تعامل المسلم مع كتاب الله، وقد أفردت هذا الموضوع ببحث خاص ولله الحمد والمنة، نشر بمجلة هيئة علماء السودان ، العدد (١٤) محرم ١٤٣١هـ .

القرآن في اللوح المحفوظ، وتلقي جبريل للوحي من الله، وكيفية تلقي النبي ﷺ للوحي، ومواطن نزول القرآن الكريم وأوقاته ووقائعه، ونزوله منجماً، والأحرف التي نزل عليها، وحكمتها، ووجودها في المصاحف، وكيفية التحمل، ومعرفة حفاظه ورواته وأسانيدهم، وجمع القرآن والمراحل التي مرَّ بها كل جمع، والذين قاموا بجمعه في كل مرحلة، وضوابط الجمع،ومميزات كل جمع، وترتيب القرآن في آياته وسوره، ورسم المصحف، والمراحل التي مر بها ضبط القرآن الكريم في التنقيط والتشكيل والتحزيب.

وهنالك مباحث خادمة لهذا المجال ولها إسهام آخر في التفسير منها: معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل، والمكي والمدني حيث يسهم في معرفة التدرج في التشريع، وفي فقه إنزال القرآن في الواقع، ومعرفة أحكام الناسخ من المنسوخ، والمخصص للعام، « وقد اتفق العلماء على أن الخاص المتأخر هو المقدم على العام المتقدم»[1] .قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٢]، فأمره الله سبحانه وتعالى أن يجاهد الكفار بالقرآن جهادا كبيرا، وهذه السورة مكية نزلت بمكة قبل أن يهاجر النبي ﷺ وقبل أن يؤمر بالقتال، ولم يؤذن له، وإنما كان هذا الجهاد بالعلم والقلب والبيان والدعوة لا بالقتال، وأما القتال فيحتاج إلى التدبير والرأي »[2].

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢١/ ٢٦٣).

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (٨/ ٤٣).

ثالثاً : مجال الأداء اللفظي الصحيح للقرآن الكريم :

أخذ النبي ﷺ القرآن عن طريق التلقي من جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[النمل :٦]، وظلت سُنَّة التلقي للقرآن من أفواه القراء المتقنين لألفاظه كما سمعوه من النبي ﷺ هي سُنَّة تعلمه على مر الدهور، وجعل الله إحسان تلاوته من أعظم القربات التي ينال بها العبد أرفع الدرجات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر :٢٩ -٣٠] . وقال النبي ﷺ: « **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[١]، ومن هنا جاءت علوم خادمة للقرآن الكريم في مجال تنمية القدرات في الأداء اللفظي الصحيح تعبداً وتعليماً، موصلة لحسن تلاوته التي أمرنا بها، منها: علم التجويد الذي عرف بقولهم: «هو إعطاء الحروف حقها في النطق بها على أتم وجه، ومستحقها من الأحكام الناشئة عنها، وإخراج كل حرف من مخرجه الصحيح، وأيضًا تحسين الصوت بالتلاوة إن أمكن»[٢]، وعلم القراءات، لأن الأصل في علم القرآن يبحث في اختلاف القراء في وجوه النطق،كالمد والإمالة والتخفيف والتسهيل ومخارج الحروف، حفظ من خلالها الأداء لكل قارئ وراوٍ وما تلقوه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها باب:فَضْلِ الْمَاهِرِ بِالْقُرْآنِ وَالَّذِى يَتَتَعْتَعُ فِيهِ ح رقم ١٨٩٨.

(٢) الروضة الندية شرح متن الجزرية (٢/ ٣٢) .

بسند متصل عن النبي ﷺ، ومن ذلك كيفية وطرق التحمل، وتحسين الصوت بالقرآن، ومراتب القراءة، وغيرها .

رابعاً : مجال فهم وتدبر القرآن الكريم :

فهم القرآن الكريم مقصد أساسي من إنزاله، ولذا جعله الله واجباً من الواجبات، قال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[ص :٢٩] .قال القرطبيُّ ــ رحمه الله ــ :«وفي هذا دليلٌ على وجوبِ معرفةِ معاني القرآن»[١] . وقال السَعديُّ ــ رحمه الله ــ :﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾: هذه الحكمةُ من إنزالهِ، ليتدبرَ الناسُ آياتهِ؛ فيستخرجوا علمَها، ويتأملوا أسرارَها وحكمَها، فإنه بالتدبرِ فيهِ والتأملِ لمعانيه، وإعادةِ الفكر فيها مرةً بعد مرة تدركُ بركتُه وخيره، وهذا يدلُ على الحثِ على تدبرِ القرآن، وأنه من أفضلِ الأعمال، وأن القراءةَ المشتملة على التدبرِ أفضلَ من سرعةِ التلاوةِ التي لا يحصلُ بها هذا المقصودُ»[٢]. وقال ابنُ القيم ــ رحمه الله ــ: « ولهذا أنزلَ اللهُ القرآن ليتدبر، ويتفكر فيه، ويعملُ به، لا لمجردِ التلاوةِ مع الإعراضِ عنه»[٣]. وقال في مدارجِ السالكين:« وأما التأملُ في القرآنِ فهو تحديقُ ناظر القلبِ إلى معانيهِ، وجمعُ الفكرِ على تدبرهِ وتعقلهِ هو المقصودُ من إنزالهِ؛ لا مجردَ التلاوةِ بلا فهمٍ، ولا تدبر»[٤]. وقال الشوكانيُّ ــ رحمه الله ــ: «وفي الآيةِ دليلٌ على أن اللَّهَ سبحانه إنَّما أنزلَ القرآنَ للتدبرِ

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٦٣) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٧١٢).

(٣) مفتاح دار السعادة (ص:٢١٥) .

(٤) (ج١/ ٤٨٥).

والتفكرِ في معانيهِ؛ لا مجردُ التلاوةِ دونَ فكر»[(١)].

ومن هنا جاءت علوم كثيرة خادمة للقرآن في مجال فهمه وتدبره، حتى تسدد للدارس فهمه للقرآن الكريم وفق أسس علمية سليمة، وتمنعه من الانحراف، منها:

أسباب النزول، كما قال العلماء: « معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»[(٢)]، ومثل دراسة مفردات وغريب القرآن الكريم، وإعراب القرآن الكريم، وقواعد التفسير، ومناهج المفسرين، وكتب التفسير، والاختلاف في التفسير، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه، والمجمل والمبين، والمفهوم والمنطوق، والناسخ والمنسوخ، والوجوه والنظائر، وأمثال القرآن، وقصص القرآن، وأقسام القرآن، وجدل القرآن، وعلم الوقف والابتداء، ومشكل القرآن، وما يوهم الاختلاف والتناقض، والآيات المتشابهات، وترجمة معاني القرآن، وغيرها.

خامساً: مجال إعجاز القرآن الكريم وأسراره:

القرآن كما هو كتاب هداية، فهو الآية والمعجزة الكبرى الخالدة الدالة على صدق الرسالة، المتحدى به مدى الدهر، المسجل من خلاله عجز الخلق في الإتيان بمثله، قال تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

(١) فتح القدير (٤/ ٤٣٠).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٣/ ٣٣٩).

﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣ - ٢٤]. ولما كان إعجاز القرآن الكريم سمة من سماته، وسراً عظيماً من أسراره قيض الله نخبة من العلماء للكتابة فيه، فبرزت كتابات في علوم القرآن الكريم هدفها إبراز أوجه إعجاز القرآن الكريم وأسراره حتى صار فناً له مجاله بين علوم القرآن الكريم ومباحثه، من ذلك: علم الإعجاز البياني، وما حواه القرآن من أسرار بلاغية فيما يقدم ويؤخر من الألفاظ، وما جاء فيه من تشبيهات واستعارات وكنايات وتعريض، وما فيه من الحصر والاختصاص، والإيجاز والإطناب، والخبر والإنشاء، والالتفات، والتضمين،والجناس، والجمع والتفريق، والمطابقة، وغيرها من أوجه إعجاز القرآن الكريم البياني، وما فيه من إعجاز من خلال أسلوبه، وما جاء في الإعجاز الغيبي، وما كتب في الإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، وما فيه من إعجاز من خلال نظمه وترتيبه وما فيه من تناسق وتناسب في الألفاظ والآيات والسور والموضوعات. قال فخر الدين الرازي ـ رحمه الله ـ في ختام تفسيره لسورة البقرة: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعلّ الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور»[١].

(١) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله الرازي (٤/ ٦٧).

سادساً : مجال الدفاع عن القرآن الكريم :

من مجالات علوم القرآن الكريم المهمة مجال الدفاع عن القرآن ورد الشبه التي تثار حوله؛ لأنه مصدر هداية الأمة، ومنبع عزتها، وأساس بنائها وقوتها؛ وذلك بالتصدي لكل مغرض يريد أن يحط من قدره، أو يشكك في هديه، أو يريد زعزعة اليقين في مصدر ربانيته،أو في كمال حفظه، أو يريد أن يصرف العباد من الانتفاع به، والتعلق والتحاكم إليه، أو يشكك في أخباره أو يريد الطعن في عدالة أحكامه، أو شمولية رسالته، وكل ما يصرف الناس عن الإقبال على تعلمه والاهتداء به؛ فكما هنالك من يتعرضون لرب العزة بالسب والكفر فهنالك من يتعرضون لكتابه، ويثيرون الشبهات حول ثوابته قديماً وحديثاً ـ وقد رد الله عليهم في كثير من الآيات فقال تعالى:﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الفرقان:٥ – ٦]، وقال تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[يونس: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾[الطور :٣٣- ٣٤]، وغيرها من الآيات التي فند الله فيها كل قول وأبطل فيها كل شبهة .

وكتاب الله مستهدف من قوى شتى من أعداء الله ورسوله والمؤمنين قديماً وحديثاً؛ وذلك لأن أعداء الأمة يعلمون عظمة هذا الكتاب، وقوة أثره في حياة المؤمنين؛ ولذلك قال وزير المستعمرات البريطاني «جلادستون» في مجلس العموم: « لن نستقر في بلاد المسلمين ما دام هذا الكتاب ـــ (يعني

القرآن العظيم) ــ بين أيديهم»[1]؛ ولذلك شمر العلماء ـ قديماً وحديثاً ـ في الدفاع عن هذا الكتاب المبين، وألفوا الكتب ونشروا البحوث في الدفاع عنه، خاصة ما تثيره بعض الفرق الضالة كالرافضة الاثني عشرية القائلين بالتحريف لبعض الآيات القرآنية الكريمة المبثوثة في مراجعهم المعتمدة، وما أثاره بعض المستشرقين من تشكيك، وكذلك ما يثيره بعض المنصِّرين من افتراءات على القرآن بهدف محاربة الإسلام والمسلمين حتى أصبح علماً خاصاً من علوم القرآن الكريم له كتبه وأبحاثه التي تعالجه تحت عناوين متعددة تهدف إلى رد الشبه التي أثيرت حول القرآن الكريم وعلومه والدفاع عنه، وقد ألفت كتب كثيرة لخدمة هذا الجانب وهي مطبوعة ومتداولة منها: «إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات» لابن اللبان الدمشقي[2]، و«شبهات حول القرآن وتفنيدها» للدكتور غازي عناية[3]، و«الدفاع عن القرآن الكريم ضد النحويين والمستشرقين» لأحمد المكي الأنصاري[4]، و«دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»، لمحمد الأمين الشنقيطي، وغيرها من مؤلفات وأبحاث كثيرة جاءت في كتب علوم القرآن الكريم .

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة (١/ ٤٤١) .

(٢) تحقيق : فريد مصطفى سلمان، ط: دار طويق ، السعودية، ط١ ، ١٤١٦م .

(٣) طبعة : دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ط١، ١٩٩٦م .

سابعاً : مجال الحفاظ على القرآن الكريم كما أنزل :

تولى الله عز وجل حفظ كتابه العزيز، وهيأ الأسباب العظيمة التي تحقق هذا الحفظ، ومن ذلك حفظه في الصدور، ورسمه في السطور التي جمعت حروفه وعلومه، وهو واجب كفائي متعلق بذمة الأمة نحو كتاب الله تعالى، ولو أراد الله حفظه بدون هذه الأسباب لتمَّ، ولكنه أراد أن تجري سننه في الكون بربط الأسباب بمسبباتها، ويفتح الباب لمن أراد أن ينال شرف خدمة كتابه العزيز؛ ومن هنا كان هدي السلف الصالح الحفاظ على القرآن الكريم كما تلقوه من النبي ﷺ دون أن يحدث فيه حدثاً ولو كان ذلك عن طريق الأداء اللفظي واختلاف الأحرف التي ليس لها تأثير في المعنى، كما هو واضح من قصة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم ـ رضي الله عنهما ـ في حديث عروة بن الزبير أن المِسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكِيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسولِ اللَّه ﷺ **فاستمعت لقراءته فَإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول اللَّهِ ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول اللَّهِ ﷺ. فقلت: كذبت فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إِلَى رسول اللَّهِ ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول اللَّهِ ﷺ:« أرسله، اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ:كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر. فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول**

الله ﷺ:«كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه»[١]. قال النووي ــ رحمه الله ــ:« وفي هذا بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن، والذب عنه، والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول إلى ما يجوزه العربية »[٢] .

ومن ثمَّ كانت هنالك علوم تدرس لخدمة هذا المجال الذي يهدف للمحافظة على القرآن كما أنزل من غير زيادة أو نقصان، من ذلك: عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه، وضبط المتواتر والشاذ من القراءات، وضبط رسم القرآن، وضبط فواصل الآيات، والوقف والابتداء، الأدوات التي يحتاج إليها المفسر، وشروط المفسر، وغيرها .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف ح رقم ٤٦٠٨، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه ح رقم ١٣٥٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٨٧).

المبحث الثاني

كيفية توظيف علوم القرآن الكريم في خدمة التفسير

تحدث العلماء عن العلوم التي ينبغي أن يتزود بها المفسر، ولكن قلَّما تجد عالماً تحدث عن كيفية استخدام هذه العلوم في التفسير ومتى يكون ذلك؟ وقد قمت بتقسيم استخدام المفسر لهذه العلوم في عدة مطالب، بيَّنت من خلالها أن العلوم التي يوظفها المفسر تنقسم إلى قسمين: أولها : علوم يوظفها بصورة دائمة في دراسة التفسير، وهي لازمة له بصورة مستمرة. وثانيها: علوم يوظفها المفسر عند توفر الحاجة إليها، وهي غير لازمة له بصورة مستمرة .

كما أن هنالك مسائل يجب أن تؤخذ في التفسير على حذر، ومسائل وأمور أخرى الأولى بالمفسر تجنبها في دراسة التفسير؛ لأنَّ الوصول لمعاني القرآن يحتاج إلى علوم كثيرة يجب أن يحسن المفسر استخدامها وتوظيفها بصورة مثلى، وإليك بيان ذلك :

المطلب الأول : العلوم التي يوظفها المفسر دائماً في التفسير:

أولاً : البيان النبوي للقرآن الكريم :

النبي ﷺ هو المبين الأول لكلام الله؛ لأن مهمته هي بلاغه وبيانه للناس، فالسنة كلها بيان للقرآن الكريم، قال تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل :٤٤]، وبيان النبي ﷺ وضعه العلماء في المنزلة التي تلي بيان القرآن بالقرآن، والحق أنه فوقها في بعض الجوانب؛لأنَّ بيان القرآن بالقرآن في غالبه نوع من الاجتهاد الذي مارسه

بعض العلماء، وأما بيانه الذي جاء في السنة الموثقة عنه ﷺ تفسيراً مباشراً للآية، أو إذا سئل عن آية ففسرها فيكون وحياً مقدماً على كل بيان اجتهادي، خاصة فإنَّ هنالك أمور لا تُعلم إلا ببيان رسول ﷺ كأمور الغيب، ووجوه الأمر والنهي، وتحديد مقادير فرائضه ونحوها. قال ابن جرير ـــ رحمه الله ـــ: « فقد تبين ببيان الله جلّ ذكره: أنّ مما أنزل الله من القرآن على نبيه ﷺ ما لا يُوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ؛ وذلك تأويل جميع ما فيه من: وجوه أمره -واجبه ونَدْبِه وإرْشاده، وصنوفِ نَهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعضَ خَلْقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه، التي لم يُدرَك علمُها إلا ببيان رسول الله ﷺ لأمَّته. وهذا وجهٌ لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله له تأويلَه بنصٍّ منه عليه، أو بدلالة قد نصَبها دالَّةٍ أمَّتَه على تأويله»[1]، وأما ما ذكره علماء التفسير من استشهادات بالحديث النبوي في التفسير لما بينهما من علاقة فهو محل نظر واجتهاد.

ومن هنا كان كل من يتمسك بما يظهر له من القرآن بدون رجوع لبيان النبي ﷺ فهو على ضلال، « وهذه طريقة سائر أئمة المسلمين لا يعدلون عن بيان الرسول ﷺ إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا، ومن عدل عن سبيلهم وقع في البدع التي مضمونها أنه يقول على الله ورسوله ما لا يعلم، أو غير الحق، وهذا مما حرمه الله ورسوله »[2].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (١/ ٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧/ ٢٨٦).

ثانياً: مرويات الصحابة رضي الله عنه في التفسير [(١)]:

لا بد للمفسر من الإلمام بأقوال الصحابة في التفسير، والاستفادة منها وفق ما حدده العلماء في فهم المعنى، بل لا ينبغي أن يكون ما انتهى إليه المفسر خارجاً عن أقوالهم التي صحت عنهم، لأنهم شاهدوا التنزيل، وعرفوا أسباب النزول وزمانه وأحواله، ونزل القرآن الكريم بلغتهم، وهم أصحاب المنهج القويم الذي مدحه الله في كتابه، فلم يعارضوا الحق بعقل أو رأي أو قياس فاسد؛ ولذا أمرنا الله تعالى أن نكون على نهجهم في العلم والعمل، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[التوبة :١٠٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة :١٣٧].قال ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: «إنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة...وحينئذٍ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم»[(٢)]، وقال أيضاً: «فمن عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك بل مبتدعا، وإن كان مجتهدا مغفورا له

(١) أما مرويات التابعين فهي حجة عند الاتفاق ، ولا تكون حجة عند اختلافهم ، ويستحسن بالمفسر أن يلم بها ؛ لأنهم عاشوا في القرون المفضلة ، وفي عصور اللغة ، وتتلمذ بعضهم على أصحاب النبي ﷺ ، قال ابن تيمية عن أقوالهم في التفسير : « اذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ، ولا على من بعدهم » مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧٠) .

(٢) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (١٣ / ٣٦٤) ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١/ ٧) .

خطؤه، فالمقصود بيان طرق العلم وأدلته وطرق الصواب، ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله فمن خالف قولهم،وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعا »[1].

فالمفسر لا غني له عن أقوال السلف في التفسير دون حجر العقول في حدود ما قالوه، حتى لا نضيق سعة علوم هذا الكتاب المجيد الذي أمر الله عباده جميعاً بتدبره قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص :٢٩]، ولأن التفسير بالدراية وفق ضوابطه معتبر كالتفسير بالرواية؛ ولذلك فإن « أئمة المسلمين من الصحابة فمن بعدهم لم يقصروا أنفسهم على أن يرووا ما بلغهم من تفسير... وقد ثبت في أصول الفقه أن المتقدمين إذا ذكروا وجهاً في تفسير الآية فذلك لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها، وإلا لصارت الدقائق التي يستنبطها المتأخرون في التفسير مردودة، وذلك لا يقوله إلا مقلد خلف بضم الخاء»[2] ـ قال ابن عاشور ــ رحمه الله ــ:« ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضرر كثير، وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، عالما بأن غمض فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة، فالحمد لله الذي صدق الأمل،

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٣ / ٣٦١، ٣٦٢) .

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١ / ٢٩ــ ٣٢) .

ويسر إلى هذا الخير ودل »[١].

ومن هنا كان الرجوع لأقوال الصحابة ليس من باب تعطيل العقول في تدبره، وإنما هو من باب تنوير العقول بعلمهم ليحسنوا تدبره، وبذلك كان الرجوع لعلمهم مطلب شرعي، مع فتح الباب للاجتهاد بما لا يناقض أقوالهم، ولا يخرج عن حدود الشرع، واللغة، وسياق الآيات .

ثالثاً: أحوال نزول القرآن الكريم :

المفسر لكلام الله في حاجة مستمرة إلى استصحاب الأحوال والقرائن التي نزل فيها القرآن، ومعايشة تلك الأحوال،خاصة وقد كان نزوله متوافقاً مع ظروف وحاجات الدعوة والوقائع والأحوال التي مرت بها، وبذلك يحسن فهم الآية وإنزالها في الواقع،فمعايشةُ أحوال نزول القرآنِ الكريمِ مِنْ أعظمِ السُّبُلِ إلى فهمه وإدراك معانيه وحِكَمِهِ، قال الواحدي ــ رحمه الله ــ:« يمتنع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»[٢]. وهو من الأسباب التي بها تقدم فهم الصحابة للقرآن الكريم، وقد توصل الشاطبيُّ ــ رحمه الله ــ إلى أن سبب نبوغ الصحابة في التفسير يرجع إلى أمرينِ : « أحدهما: معرفتهم باللسان العربي فإنهم عرب فصحاء لم تتغير ألسنتهم ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم ... والثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم أقعدُ في فهمِ القرائنِ الحاليَّةِ وأعرفُ بأسبابِ التنزيلِ، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهدُ

(١) التحرير والتنوير (١/ ٧) .

(٢) أسباب النزول ، الواحدي (ص : ٢) .

يرى ما لا يرى الغائبُ ...»[(١)]. ويقول محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ: «فيجب على المفسر: أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم؛ لأن القرآن ينادي بأن الناس كلهم كانوا في شقاء وضلال، وأن النبي ﷺ بعث به لهدايتهم وإسعادهم. وكيف يفهم المفسر ما قبحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة،أو ما يقرب منها إذا لم يكن عارفاً بأحوالهم وما كانوا عليه »[(٢)].

ولفهم أحوال النزول أكد العلماء على دراسة وقت نزول السورة خاصة قبل الهجرة أو بعدها؛ لأنَّ لكلٍّ فترة خصائصها الموضوعية .

وأكدوا على معرفة أسباب النزول؛ لأن بعض الآيات متوقف معرفتها في كثير من الأحيان على معرفة مقتضيات الأحوال، وحال المخاطب والخطاب، والجهل بأسباب النزول يوقع المفسر في الإشكالات، سأل بُكير نافعًا مولى ابن عمر: كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: «يراهم شرار خلق الله، إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين»[(٣)]. فمعرفة سبب النزول يدلك على المعنى الصحيح، ويدفع ما يقع من إشكال.

كما أكدوا على أهمية دراسة سيرة النبي ﷺ في أحواله المختلفة في السلم والحرب وغيرها للمفسر لمعايشة أحوال النزول، ونجد الكثير من أئمة التفسير لهم اهتمام كبير بالسيرة؛ وذلك لما لها من أثر في فهم القرآن الكريم، قال

---

(١) الموافقات ، الشاطبي (٣/ ٣٣٨) .

(٢) تفسير المنار (١/ ٢٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً في كتاب: استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، وقال ابن حجر: وسنده صحيح. انظر الفتح (٨/ ٣).

السعدي ــ رحمه الله ــ :«فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصا إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها»[1]. وقال في تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن:« اعلم أن سيرة نبينا محمد ﷺ أعظم عون على معرفة تفسير كتاب الله، والقرآن إنما كان ينزل تبعا لمناسبات سيرته، وما يقوله للخلق، وجواب ما يقال له، وما يحصل به تحقيق الحق الذي جاء به، وإبطال المذاهب التي جاء لإبطالها، وهذا من حكمة إنزاله مفرقاً، كما ذكر الله هذا المعنى بقوله:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان :٣٢-٣٣] . وقال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود :١٢٠]. فلنشر من سيرته ﷺ على الأحوال المناسبة لنزول الآيات المعينات، أو لجنس النوع من علوم القرآن ليكون عونا في هذا المقام»[2].

رابعاً : قواعد التفسير وأصوله :

لابد للمفسر من ربط فهم الآية بقواعد التفسير والترجيح والاستنباط حتى يكون فهمه منضبطاً، واختياره موفقاً، واستنباطه دقيقاً مسدداً، ويعرف كيف يرد المتشابه للمحكم، ويحمل المطلق على المقيد، ومتى يحمل العام على الخاص، وكيف يرد المجمل على المفصل، وكيف يدرأ ما ظاهره التعارض،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٣٠) .

(٢) (١/٢) .

ويزيل ما يطرأ عليه من إشكال، وأن يعرف مناهج التفسير ومنهج كل مفسر، ونحو ذلك ، فهي قواعد وأصول مانعة للمفسر من الانحراف، ومصوبة له في الترجيح والاختيار والاستنباط،خلافاً لأهل الأهواء الذين يفسرون القرآن خلاف ما أراد الله ، قال تعالى :﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران :الآية٧] فهو كتاب حق لا لبس فيه ولا اختلاف ولا تناقض، ولا تعارض، قال الزركشيُّ ــ رحمه الله ــ: « ومعلومٌ أن تفسيرَه يكونُ بعضُهُ من قبيلِ بَسْطِ الألفاظِ الوجيزةِ وكَشْفِ معانيها، وبعضُهُ من قبيلِ ترجيحِ بعضِ الاحتمالاتِ على بعضٍ لبلاغتِهِ ولُطْفِ معانِيه؛ولهذا لا يُسْتَغْنَى عن قانونٍ عامٍّ يُعَوَّلُ في تفسيرِهِ عليه، ويُرْجَعُ في تفسيره إليه: مِنْ معرفةِ مفرداتِ ألفاظِه، ومركباتِهَا، وسياقِ،وظاهِرِهِ وباطِنِهِ، وغيرِ ذلكَ مما لا يدخلُ تحتَ الوهمِ ويِدقُّ عنه الفهمُ»(١).

خامساً : علوم اللغة العربية :

نزل القرآن الكريم بلغة العرب كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف :٢]، ولذلك قال العلماء: لا يفهم القرآن إلا وفق لغة العرب التي نزل عليها، وطرائقهم في التعبير، ووجوه تصرفهم في البيان، وأن كلَّ معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي مردود، ولا يُوصل لفهم القرآن الكريم إلا بالمعرفة الكبيرة بلغة العرب؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فمعرفة اللغة طريق من الطرق المهمة لفهم القرآن؛ خاصة إذا لم يجد المفسر تفسيراً للآية في القرآن، ولا في السنة، ولا في أقوال الصحابة،

---

(١) البرهان في علوم القران للزركشي (١ / ١٥) .

ولا في أقوال التابعين، قال الشاطبي ــ رحمه الله ــ: « القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنَّما يكون من هذا الطريق خاصة .. فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يُفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة »[١]، وقال الطبري ــ رحمه الله ــ: «فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد ﷺ لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائماً »[٢]، ومن لم يجعل لغة العرب مرجعه ومفزعه في التفسير كان من أهل التحريف والزيغ لا محالة في فهم معاني القرآن، قال ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: « لا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله ﷺ من الألفاظ،وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدّعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك »[٣].

ولذلك جعل العلماء تعلم اللغة العربية واجباً على المفسر قال مجاهد ــ رحمه الله ــ:« لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب»[٤]. وقال ابن فارس ــ رحمه الله ــ: «إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة

(١) الموافقات للشاطبي (٢/ ٣٧٥) .

(٢) جامع البيان (١/ ٥٥) .

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ١١٦) .

(٤)البرهان في علوم القرآن (١ / ٢٩٢) ، والإتقان في علوم القرآن (٣ / ٣٦) ، وشعب الإيمان للبيهقي(٥/ ٢٣٢) .

والفتيا بسبب، حتى لا غنى بأحد منهم عنه . وذلك أن القرآن نازلٌ بلغة العرب،ورسول الله ﷺ عربي. فمن أراد معرفة ما في كتاب الله عز وجل، وما في سنة رسول الله ﷺ من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب – لم يجد من العلم باللغة بُدّا»[١]. وقال الزركشي ـ رحمه الله ـ :« واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها»[٢]، كما أن الارتقاء في هذا العلم يكون بحسب تمكن المفسر من لغة القرآن، قال أبو حيان الأندلسي ـ رحمه الله ـ:«فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته ، ولا يمتطي منه صهوته إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان »[٣]

ولكن العلماء فرقوا بين الرجوع إلى لغة العرب لفهم كلام الله، وبين الخوض في تقرير قواعد النحو والاستدلال عليها من خلال التفسير، وبينوا أن هذا ليس ذلك شأن المفسر في تفسيره، وينبغي أن يحمل كلام الله على أحسن أوجه الإعراب، وأفضل أنواع تراكيب الكلام، لأنه خير الكلام وأبينه وأفصحه،مع الابتعاد «من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة»[٤].

سادساً : العلم بدلالات السياق بين الآيات:

من العلوم المهمة التي يحتاج إليها المفسر دائماً في دراسة التفسير معرفة دلالات السياق بين الآيات، ليقف على الغرض الذي تتابع الكلام لأجله

(١) الصاحبي في فقه اللغة (١/ ١٠) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩٥) .

(٣) البحر المحيط (١/ ١٣) .

(٤) البحر المحيط (١/ ٥) .

سابقاً ولاحقاً لأداء المعنى، لأنه لا يجوز تفسير الكلام في غير سياقه الذي ورد فيه، قال ابن جرير ــ رحمه الله ــ: « فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول ﷺ تقوم به حُجَّة »[١] ، فهو خير معين في فهم المعنى وفق السياق الذي ورد فيه استنباطاً،أو اختياراً،أو ترجيحاً، أو تصحيحاً أو تضعيفاً؛ ولذلك قال الزركشي ــ رحمه الله ــ: « والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففي ذلك علم جم »[٢]، وقال السعدي ــ رحمه الله ــ في بيان أهمية مناسبات السياق في فهم المعنى:« السياق يرشد إلى بيان المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره،وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾[الدخان :٤٩] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير»[٣].

فعلم دلالات السياق من العلوم المهمة التي لا غنى لدارس التفسير من معرفتها؛ وذلك لأنه «من خلاله يستعين على فهم المعنى، أو الترجيح بين الآراء في ضوء السياق، أو إزالة لبس أو إشكال، أو دفع إيهام أو معرفة الحكمة من إيراد القصص القرآني، أو غير ذلك من الفوائد»[٤]، فهو خطوة

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٩/ ٣٨٩) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٣٤) .

(٤) موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات (١/ ١٥) .

مهمة للوصول إلى معاني السورة، وإهماله يؤدي إلى دراسة تفسيرية يشوبها النقص والخلل،كما جاء عن عكرمة أن نافع بن الأزرق الخارجي قال لابن عباس : (يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوماً يخرجون من النار، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة :٣٧] فقال:ويحك، اقرأ ما فوقها. هذا للكفار)[١].

سابعاً : علم الاستنباط :

فرق العلماء بين التفسير الذي يعتني فيه المفسر بمعرفة الأحكام الظاهرة، وبين علم الاستنباط الذي يهتم فيه المفسر بالمعاني الخفية التي تحتاج إلى نظر واجتهاد قد تخفى على غير مستنبطها، فهو علم « زائد على مجرد فهم اللفظ، فإن ذلك ليس طريقة الاستنباط؛ إذ موضوعات الألفاظ لا تنال بالاستنباط وإنما تنال به العلل والمعاني والأشباه والنظائر ومقاصد المتكلم .. ومعلوم أن هذا الفهم قدر زائد على معرفة موضوع اللفظ وعمومه أو خصوصه، فإن هذا قدر مشترك بين سائر من يعرف لغة العرب ، وإنما هذا فهم لوازم المعنى ونظائره، ومراد المتكلم بكلامه، ومعرفة حدود كلامه،بحيث لا يدخل فيها غير المراد، ولا يخرج منها شيء من امراد»[٢]، وهو علم مهم؛ لأننا متعبدون إلى الله بما دلت عليه الآية بمنطوقها ومفهومها، فكما لا يجوز تجاوز ألفاظ القرآن ومعانيه، كذلك لا يجوز قصرها بل يجب أن يعطى كلٌ حقه. وهو علم يزيد من وجوه المعنى، ويكشف المزيد من أسرار هذا الكتاب التي لا تنقضي، ويظهر جماليته التي لا تنتهي، خاصة الفوائد التي لها تعلق

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن (١٠/ ٢٩٤) .

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية (١ / ٣٠٧) .

بالحكم، أو تعمق فهم المسلم في عقيدته وعبادته وأخلاقه، فإن آيات القرآن ذات أفانين عميقة مترامية الأطراف، تنقطع فيها الطاقات، ولا تبلغ غورها الأفهام، فليس في المقدور استيفاء جميع أسرار هذا الكتاب المصون، الذي حوى من الحكم المكنونة الشيء العظيم؛ ولذا جعله العلماء من العلوم التي ينتهي عنده حديثهم، ولا ينتهي نظرهم فيه، بل دائماً يسألون الله المزيد منه. يقول السيوطي ــ رحمه الله ــ: «ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فيتكلم عليها من جهة اللغة، ثم التصريف، ثم الاشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب فيبدأ بالإعراب، ثم بما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد، ثم الاستنباط، ثم الإشارات»[1].

وينبغي أن يراعى في المعنى المستنبط عدم معارضته لأدلة الشرع، أو اللغة،ويكون له ارتباط بالنص القرآني، فلا يكون هنالك تكلف فيما ليس له ارتباط بالنص ولو كان المعنى المذكور صحيحاً فإنه يرفضه؛ لأن في ذلك خطأ في الاستدلال، وكذلك يكون فيما للرأي فيه مجال، ليس مما استأثر الله بعلمه، وأن لا يكون مما يشتت الذهن أو يصرف عن العمل إلى الجدل، فمثل هذه الاستنباطات الأولى تركها، لأن مقصد التفسير الأول هو الهداية[2].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٤٧).

(٢) وقد عالج هذا الموضوع الشيخ فهد بن مبارك بن عبد الله الوهبي في رسالته العلمية التي نال بها درجة الماجستير من جامعة الإمام بعنوان: «منهج الاستنباط من القرآن الكريم» يمكن الرجوع إليها لمزيد الفائدة، وهي مطبوعة ضمن مطبوعات مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة ط١، ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م.

المطلب الثاني: العلوم التي يوظفها المفسر عند توفر الحاجة إليها :

هنالك علوم من علوم القرآن من الأهمية بمكان، ولكن حاجة المفسر إليها في توظيفها في الفهم ليست بصورة دائمة، وإنما يحتاج لها عند توفر الحاجة إليها؛ فيوظفها في التفسير بدون إسراف، وهي على النحو التالي :

أولاً : القراءات القرآنية :

علم القراءات في أصله «علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة»[١]، فهو علم في أصله متعلق بالأداء اللفظي، وله تأثيره على تفسير القرآن الكريم وبيان معانيه من بعض الوجوه، ومن هنا قسمه العلماء من جهة التفسير إلى قسمين :

أ/ قراءات ليس لاختلافها تعلق بالتفسير: لعدم وجود أثر ظاهر في تفسير الآية: كاختلاف القراءات في أوجه النطق بالحروف والحركات، مثل مقادير المد والإمالات، وتسهيل الهمزات أو تحقيقها، والإدغام، ونحو ذلك، فهذه الاختلافات لا تأثير لها في معاني الآية،وإنما أثرها في كيفيات النطق والأداء، أو في إبراز المعنى الواحد .

ب/ قراءات لاختلافها تعلق بالتفسير بدرجات متفاوتة[٢]: إما أن يكون الأثر في توسيع فهم المعنى، أو إزالة ما يشكل،أو الترجيح بين المعاني المحتملة للآية أو غير ذلك: وهذا النوع غالبه يتعلق باختلاف الفرش دون الأصول. مثال ذلك في توسيع المعنى: كقراءة ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[الفاتحة :٤] في قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف بالألف مدا، وقرأ الباقون بغير

---

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين (ص: ٩) .

(٢) انظر : أصول التفسير وقواعده (ص : ٨٢٤ ، ٩٢٤) .

ألف قصراً [١] •ملك • قال البيضاوي: «والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء من الملك. والملك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك» [٢] .

ومثالها في إزالة ما يشكل: كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود :٤٦] ، فأشكل ذلك على بعض الجهلاء حتى فسروها بما لا يليق بالأنبياء،فجاءت القراءة الثانية عند الكسائي ويعقوب مزيلة لكل إشكال [٣] وهي:﴿عَمِلَ﴾ بكسر الميم وفتح اللام (غير) بفتح الراء على عود الفعل على الابن، ومعناه أنه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح، ومن كان عمله غير صالح لا يجوز طلب النجاة له [٤] .

ومثالها في الترجيح بين المعاني المحتملة في الآية: كقراءة: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ﴾ [البقرة :٢٢٢] التي تُجوِّز قربان الحائض بمجرد انقطاع الدم؛ كما هو مذهب أبو حنيفةوجاء في قراءة حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ﴿يَطَّهَّرْن﴾ بتشديد الطاء والهاء والباقون بالتخفيف [٥]، بمعنى لا يجوز قربان الحائض إلا بعد استعمال الماء، بأن تغسل موضع الدم منها فقط أو تتوضأ،أو تغتسل كما هو مذهب الجمهور مالك والشافعي وأحمد [٦]، ويرجح رأي الجمهور؛ لأن القراءات تدل بعضها على بعض دون تضاد .

---

(١) النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري (١/ ٢١٣) .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي (١/ ٦) .

(٣) النشر في القراءات العشر (١/ ٧١٢) .

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين البغدادي (٣/ ٢٣٥).

(٥) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٧١) .

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٨٠) .

ولما كانت القراءات القرآنية منها ما له أثره في التفسير ، ومنها ما ليس له أثر جعلها العلماء من العلوم التي يستدعيها المفسر عند توفر الحاجة إليها. قال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ مقرراً ذلك في مقدمته السادسة، مبيناً سبب أعراضه عن كثير من القراءات في تفسيره؛ لأنه يراه علم مستقل قد خص بالتدوين والتأليف، ولعدم تعلق بعضه بالتفسير، فقال : « أرى أن للقراءات حالتين: إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحال، والثانية لها تعلق به من جهات متفاوتة .

أما الحالة الأولى: فهي اختلاف القرَّاء في وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد والإمالات، والتخفيف والتسهيل والتحقيق، والجهر والهمس والغنة ...وأما الحالة الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل (مالك يوم الدين) و(ملك يوم الدين) و(ننشرها) و(ننشزها)... وهي من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره...»[١].

وهذا المنهج الذي نص عليه ابن عاشور مارسه كثير من المفسرين عملياً من خلال تفاسيرهم فلم يتعرضوا إلا للقراءات التي لها تعلق بالمعنى؛ لذا فعلى المفسر أن يبين اختلاف القراءات التي لها تأثير في المعنى عند ما تدعو الحاجة لذلك؛ لأن تعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، أما الاختلافات التي لا أثر لها فمحلها كتب القراءات، وليس كتب التفسير[٢].

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٥١ ـ ٥٥) له كلام نفيس يستحسن الرجوع إليه لمزيد الفائدة .
(٢) انظر : القراءات القرآنية وأثرها في التفسير والأحكام ، أ. د. محمد بن عمر بازمول (١/ ٣٧٥ ـ ٨٢٣) فهي رسالة علمية نال بها الباحث درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى، في قسم الكتاب والسنة، لمزيد من الفائدة .

ثانياً : فضل الآيات والسور :

هنالك بعض الآيات والسور ورد لها فضائل خاصة ، من خلال بعض الأحاديث الصحيحة التي تنص على فضلها كسورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، أو كآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، وغيرها، وهنالك فضائل للآية أو السورة تظهر من خلال كثرة قراءة النبي ﷺ لها، أو لما تضمنته من معان عظيمة ، لأن تفاضل القرآن مربط بالمعنى، قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : «والتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها لا من حيث الصفة وهذا هو الحق ، وأن ما تضمنه قوله تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[البقرة :١٦٣]،وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجوداً مثلاً في ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد :١] وما كان مثلها»[1]، فهذه الفضائل الخاصة على المفسر ذكرها والاستفادة منها في بيان معنى الآية في موضعها الذي توافرت فيه؛ لأن من خلالها يتأكد مزيد العناية بالسورة أو الآية تلاوة وحفظاً وفهماً وعملاً، فمن عرف فضل سورة الفاتحة أو الإخلاص أو آية الكرسي جدَّ في حفظها وفهمها لما نالته من خصوصية، قال الزركشي ـ رحمه الله ـ: «قد جرت عادة المفسرين ممن ذكر الفضائل أن يذكرها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها»[2]؛ ولكن العلماء حذروا من نقل الروايات الضعيفة والموضوعة عن فضائل بعض الآيات والسور كما فعل الزمخشري في الكشاف .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١ / ١١٠) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٣٢) .

ثالثاً: النسخ:

النسخ من علوم القرآن المهمة للمفسر، فقد نقل ابن عبد البر عن القاضي يحيى بن أكتم ـ رحمهما الله ـ قوله: « ليس من العلوم كلِّها علم هو أوجب على العلماء والمتعلمين وكافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه؛ لأنَّ الأخذ بناسخه واجب فرضاً، والعلم به لازم ديانة، والمنسوخ لا يعمل به ولا ينتهي إليه، فالواجب على كلِّ عالم عِلْمُ ذلك لئلا يوجب على نفسه أو على عباد الله أمراً لم يوجبه الله ﷻ، أو يضع عنهم فرضاً أوجبه الله ﷻ»[1]. وقال الفيروز آبادي ـ رحمه الله ـ: « اعلم أَن معرفة النَّاسخ والمنسوخ باب عظيم من علوم القرآن. ومن أَراد أَن يخوض في بحر التفسير ففَرْضٌ عليه الشروعُ في طلب معرفته، والاطلاع على أَسراره، ليسلَم من الأَغلاط، والخطأ الفاحش، والتأْويلات المكروهة»[2]، وقال الزرقاني ـ رحمه الله ـ: « إن معرفة الناسخ والمنسوخ ركن عظيم في فهم الإسلام وفي الاهتداء إلى صحيح الأحكام؛ خصوصاً إذا ما وجدت أدلة متعارضة لا يندفع التناقض بينها إلا بمعرفة سابقها من لاحقها، وناسخها من منسوخها»[3].

ومع أهمية هذا العلم وضرورته من حيث العلم به لمن أراد تفسير القرآن الكريم إلا أن النسخ لا يكون إلا في الأحكام، في فروع العبادات والمعاملات، أما في العقائد والأخلاق وأصول العبادات والمعاملات والأخبار المحضة فلا يقع نسخ، قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة بن عمار ـ رحمهم الله ـ: «لا

(١) جامع العلم وفضله ٦/ ١٤ .
(٢) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ١١٧) .
(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن ٣/ ١٨٩ .

يدخل النسخ إلا على أمر أو نهي فقط، افعلوا أو لا تفعلوا »[١]، فغالب آيات القرآن الكريم ليس للنسخ تعلق بها؛ ولذا فإن حاجة المفسر إليه في التوظيف ليست بصورة دائمة، وإنما هو علم يستدعيه المفسر عند الحاجة إليه في بعض الآيات في الأوامر والنواهي، قال أبو جعفر النحاس ــ رحمه الله ــ: « وأصله أن يكون الشيء حلالاً لمدة ثم ينسخ فيجعل حراماً، أو يكون حراماً فيجعل حلالاً، أو يكون محظوراً فيجعل مباحاً، أو مباحاً فيجعل محظوراً، يكون في الأمر والنهي، والحظر والإطلاق، والإباحة والمنع»[٢]، والأصل فيما ورد في القرآن الكريم الثبوت، فلا يقال فيه بالنسخ إلا بحجة قاطعة من كتاب أوسنة.

رابعاً: علم المناسبات:

علم المناسبات من العلوم المهمة التي اعتنى بها كثير من علماء التفسير قديماً وحديثاً كالزمخشري، والرازي، وأبي حيان، وأبي السعود، والألوسي، وابن عاشور، وغيرهم، وهو علم يحتاج إليه المفسر لمعرفة أوجه الربط بين كلمات وآيات وسور القرآن الكريم . قال الزركشي ــ رحمه الله ــ: « وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»[٣]، وقال البقاعي ــ رحمه الله ــ: «علم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال وتتوقف الإجادة فيه

---

(١) الناسخ والمنسوخ ، هبة الله بن سلامة المقري (ص: ٢).

(٢) الناسخ والمنسوخ ، لأبي جعفر النحاس (ص : ١١ - ١٢) .

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٥٣).

على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير، نسبة علم البيان من النحو»[١]. كما هو علم يوقف المفسر على دقائق المعاني ولطائفها وروائعها، قال الرازي ــ رحمه الله ــ: « أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط »[٢]، قال الزركشي ــ رحمه الله ــ: « والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم»[٣]. وهو موصل لمقاصد السورة وأهدافها،يقول البقاعي ــ رحمه الله ــ: « إن من عرف المراد من اسم السورة عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها...فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها؛ فترتب المقدمات الدالة عليه على أكمل وجه وأبدع منهج»[٤].

كما هو موصل إلى وجه مهم من أوجه إعجاز القرآن الكريم ، قال الرازي ــ رحمه الله ــ : «إن القرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه هو أيضا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك»[٥]. وقال الأستاذ محمد رشيد رضا: « ولعمري إن وجوه الاتصال بين الآيات وما فيها من دقائق المناسبات لهي

(١)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٥ ، ٦) .

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٢٤٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١ / ٣٧) .

(٤) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور (١/ ١٤٩).

(٥) مفاتيح الغيب للرازي (٧/ ١١٢) .

ضرب من ضروب البلاغة ، وفن من فنون الإعجاز ، إذ أمكن للبشر الإشراف عليه فلا يمكنهم البلوغ إليه »[١].

فعلم المناسبات من العلوم المهمة التي يستدعيها المفسر عند الحاجة لكشف معنى، أو إزالة لبس، أو إظهار وجه إعجاز، وهو علم واسع لأن بعضه متعلق بترتيب آيات السورة أو كلمات الآية، أو موضوع السورة، وبعضه بين اسم السورة وموضوعها أو موضوعاتها، أو فاتحة السورة لخاتمتها ونحو ذلك من الوجوه الكثيرة التي تكلم عنها العلماء؛ وذلك لأن «الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض. أو في الانتقال منه أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل »[٢]، ولذا علم المناسبات بمفهومه الواسع هو من العلوم التي يوظفها المفسر عند توفر الحاجة إليها، وبمفهومه الخاص الذي يقتصر فيه على دلالات السياق من العلوم اللازمة للمفسر .

خامساً : علم إعجاز القرآن وأسراره البيانية :

الإعجاز هو الوجه الثاني المهم للكتاب العزيز، فوجهه الأول: الهداية، ووجهه الثاني: البيان والبرهان على صدق الرسالة، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[البقرة : ١٨٥] ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم**

---

(١) تفسير المنار (١/ ٢٠٦) .

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٧٩) .

تابعا يوم القيامة»[١]، فهو العلم الذي من خلاله تظهر براهين الرسالة، وينفي عن كتاب الله الريب، ويرتقي المسلم به في مدارج اليقين درجات؛ ويحتار فكره ويقف عقله، ويرتد إليه بصره وهو حسير، وهو يتأمل في موافقة معانيه للعقول، وكيف كشفت علومه الغيوب، وحوى علوماً كثيرة وأسراراً دقيقة تعجز عن إدراكها الفهوم، وكيف سما في ألفاظه وأسلوبه وتفنن في روعة خطابه، وتناسب وتناسق في نظمه وترتيبه، وصدق بعضه بعضا بما ليس هو معتاد عند البشر.

فعلى المفسر أن لا يُغفل جوانب الإعجاز وهو يفسر التفسير لاحتوائه على حكم وأسرار بديعة موجودة في كل سوره وآياته، قال الزركشي ـ رحمه الله ـ:«واعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله»[٢]. وأن إغفال هذا الجانب وعدم إدخاله واستصحابه ضمن التفسير أضعف من مكانة وجلالة القرآن في نفوس بعض المسلمين، وقلل من درجات اليقين؛ ولذا ينبغي التعرض لأوجه الإعجاز المتنوعة كلما دعت الحاجة إلى بيانها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب :كَيْفَ نَزَلَ الْوَحْيُ وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ ح رقم٤٩٨١ .

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٢٩) .

المطلب الثالث : المسائل التي تؤخذ في التفسير على حذر :

هنالك علوم ومسائل يتناولها المفسر في التفسير على حذر خوفاً من مزالقها، وهي على النحو التالي:

أولاً : مسائل العقيدة :

من المسائل التي تؤخذ في التفسير على حذر مسائل العقيدة، خاصة فيما يجب لله- جل وعلا- في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، وما يجوز على الله تعالى، وما لا يجوز في باب الأسماء والصفات[١]. وهو علم عظيم دقيق، والانزلاق فيه يؤدي إلى خسران كبير،وقد كثرت فيه انحرافات الفرق المخالفة لأهل السُّنة والجماعة من المعتزلة والجهمية والأشاعرة والرافضة وغيرهم؛ لأنهم اعتقدوا عقائد ثم أرادوا من خلال التفسير حمل ألفاظ القرآن عليها؛ وبذلك تنكبوا عن جادَّة الطريق.

ثانياً: الاختيارات والترجيحات :

من المسائل التي تؤخذ في التفسير كذلك على حذر الاختيارات والترجيحات؛ لتأثر الكثير من العلماء باختيارات المذهب وترجيحاته، أو للقصور في فقه التعامل مع هذا النوع من التفسير،وهو علم عظيم يحتاج إلى فقه وصبر، قال الذهبي ـ رحمه الله ـ: «على المفسِّر بعد كل هذا أن يكون يقظاً، فطناً عليماً بقانون الترجيح، حتى إذا كانت الآية محتملة لأكثر من وجه أمكنه أن يُرَجِّح ويختار »[٢]. وقد فصل الزركشي في فقه الترجيح

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٦) .

(٢) التفسير والمفسرون (٤/ ٤٩) .

بكلام نفيس قال فيه :« وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه،وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل، وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه... ثم قال بعد تفصيل دقيق: فهذا أصل نافع معتبر في وجوه التفسير في اللفظ المحتمل والله أعلم »[١] .

ثالثاً : المرويات الإسرائيلية :

أثبتت الروايات الصحيحة رجوع بعض الصحابة رضي الله عنهم إلى بعض أهل الكتاب ـ من اليهود والنصارى ـ في تفسير بعض الآيات، خاصة من أسلموا منهم كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار وغيرهما، خاصة في بيان بعض ما أجمل في القرآن من قصص الأنبياء والسابقين؛ وذلك لأن القرآن لم يتعرض لتفاصيل جزئيات المسائل ولم يستوفي القصة من جميع نواحيها، بل اقتصر من ذلك على موضع العبر فقط، خلافاً لما نقل عن التوراة والإنجيل، فنقلوا ما سمعوه منهم دون أن يحكموا بصدقه أو كذبه، وهم لم يرجعوا إليهم في بيان عقيدة أو أحكام أو سلوك، وإنما رجعوا إليهم في أخبار جاءت مجملة؛ لأن ما جاء بيانه في القرآن أو السنة لا يجوز العدول عنه إلى غيرهما، فهم لم يخرجوا في رجوعهم إلى أهل الكتاب عن دائرة الجواز التي حددها النبي ﷺ وفهموها من قوله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده مِن النار**»[٢]، وما ذكروه كان فقط من باب الاستئناس، كما قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ [الأحقاف :١٠] .

---

(١)البرهان في علوم القران ، الزركشي (٢/ ١٦٦-١٦٨) ، يرجع إليه لمزيد الفائدة .

(٢) صحيح البخاري ،كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ح رقم ٣٢٩٢ .

ولكن لما كانت الكتب السماوية السابقة دخلها التغيير والتبديل في غالبها، كان الأصل النهي عن الرجوع إليها والأخذ منها، كما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضا،لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتاب الله، وغيروا، فكتبوا بأيدهم، قالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا بذلك ثمنا قليلا، أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ منهم يسألكم عن الذي أنزل إليكم)[١]، وقد جاء نهى النبي ﷺ عن سؤالهم من هذا الباب كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم، وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، فإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم، ما حل له إلا أن يتبعني»[٢] ثم أباح النبي ﷺ لأصحابه أن يحدثوا ببعضها فيما ما لم يرد في كتابنا ما يصدقها أو يكذبها، ولذا وفق العلماء بين الأدلة التي تنهى عن الأخذ عنهم والتي تبيح الرواية بما يلي :

١/ ما وافق الكتاب والسنة من مروياتهم: يقبل، من باب قوله تعالى:﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ ﴾ [الأحقاف :١٠]، ويجوز ذكرها في التفسير للاستئناس، فيما وافق الكتاب والسنة وعلمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الشهادات، باب : لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها ح رقم ٢٦٨٥

(٢) مسند الأمام أحمد ح رقم ١٤٣٤٢، والبيهقي في شعب الإيمان للبيهقي ح رقم حديث : ١٧٣ ، وحسنة الألباني بمجموع طرقه في إرواء الغليل ، (٦/ ٣٤) ح رقم (١٥٨٩) .

ب/ ما خالف الكتاب والسنة من مرويات: يرد ولا يروى؛ لهيمنة الكتاب والسنة على ما قبلهما من كتاب، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، كما جاء عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله. حدثني أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب اللَّه عليه؛ إذ لم يرد العِلم إليه؛ فأوحى اللَّه إليه إن لي عبدًا بمجمع البحرين؛ هُوَ أعلم منك...**»[١] .

ج/ ما لم نجد له في الكتاب والسنة ما يصدقه أو يكذبه: فإنه مسكوت عنه، فلا يصدق ولا يكذب، وذلك لا احتماله للأمرين، ولكن تجوز روايته لما جاء عن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كان أهل الكِتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربِية لأَهل الإسلام، فقالَ رسُول اللَّه ﷺ: **لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا:** ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة :١٣٦][٢]، قال ابن حجر العسقلاني ــ رحمه الله ــ عند شرحه لهذا الحديث: «قوله لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم أي: إذا كان ما يخبرونكم به محتملا لئلا يكون في نفس الأمر صدقا فتكذبوه، أو كذبا فتصدقوه فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه نبه على ذلك الشافعي رحمه الله»[٣]، وغالب هذه مما لا فائدة فيه تعود إلى

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب: ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم ، ح رقم ١١٩ ، ومسلم، كتاب الفضائل، باب : من فضائل الخضر ، ح رقم ٤٣٨٥ .

(٢) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ ح رقم٤١٢٥ .

(٣) فتح الباري ج ٨ / ١٧٠ .

أمر ديني مثل أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعصا موسى عليه السلام من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها إبراهيم إلى غير ذلك [١].

أما التساهل في نقل مرويات أهل الكتاب في التفسير بدون تفرقة بين المقبول والمردود جرّ على التفسير ويلات وويلات، قال الذهبي ـ رحمه الله ـ: «ولقد كان لهذه الإسرائيليات التي أخذها المفسِّرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيء في التفسير،ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة، بل زادوا على ذلك فرووا كل ما قيل لهم إن صدقاً وإن كذباً ، بل ودخل هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالي المخترَع، مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئاً مما جاء فيها لاعتقاده أنَّ الكل من واد واحد، وفي الحق أنَّ المكثرين من هذه الإسرائيليات وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوبة أخبار لا تصح، كما أن نسبة هذه الإسرائيليات التي لا يكاد يصح شيء منها إلى بعض من آمن مِنْ أهل الكتاب جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الاتهام والريبة»[٢].

فالأولى بالمفسِّر أن يعرض كل الإعراض عن الخرافات الإسرائيلية التي جاء في شرعنا ما يردها ، « وأن يمسك عما لا طائل تحته، مما يعد صارفا عن القرآن، وشاغلا عن التدبر في حكمه وأحكامه، وبدهي أن هذا أحكم وأسلم»[٣].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوي ، ج١٣/ ٣٦٧ ، والتفسير والمفسرون للذهبي (١/ ١١٣-١٣٦)

(٢) التفسير والمفسرون ، للذهبي (١/ ١٢١-١٢٢) .

(٣) المصدر السابق (١/ ١٥٣ ــ ١٥٧) .

رابعاً: التفسير العلمي للآيات:

التفسير العلمي الذي يقوم على محاولة المفسر الربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية الفلكية والفلسفية، فقد اختلف حوله موقف العلماء، واستقر الرأي على أخذه بضوابط[١]، ولذا يجب أخذه على حذر، لأن هنالك من تكلفوا فيه حتى حملوا النصوص ما لا تحتمله حرصًا منهم على ربط القرآن بما ظهر من اكتشافات علمية، ومنهم من خلط بين النظريات محلِّ البحثِ والدراسة وبين الحقائق العلمية الثابتة، فتراهم يُفسِّرون القرآن بالنظرياتِ وهي عرضة للتغييرِ أو التعديل.

كما أن هذا الباب خاض فيه الكثير من غير المختصين والملمين بأصول التفسير وقواعده فوقعوا في أخطاء عظيمة[٢].

خامساً: التفسير الإشاري:

التفسير الاشاري هو اتجاه في التفسير يعتمد فيه الظاهر مع محاولة الكشف عن دقائق باطنية عن بعض أسرار المعاني تكون نتيجة هبات ربانية يختص بها المولى الكريم من يشاء من عباده الأصفياء، لا تعارض ظاهر القرآن الكريم، بل يعتقدون أنه لا يمكن الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، قال الزرقاني ــ رحمه الله ــ في تعريف التفسير الإشاري: « هو تأويل القرآن بغير

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (١/ ١٢٤) في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩]. فقد ذكر كلاماً جميلاً يرجع له لمزيد الفائدة.

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (ص: ٢٧٠)، ودراسات في علوم القرآن، أ. د/ فهد الرومي (ص: ٢٨٩ــ٢٩٦).

ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا»(١)، وهو يخالف التفسير الباطني الذي تعتقده «الباطنية الملاحدة، الذين اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلاً، وإنما المراد الباطن فقط حتى توصلوا إلى نفي الشريعة بالكلية»(٢).

فهذا النوع من التفسير رده بعض العلماء، وقبله بعضهم بشروط أبرزها «ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم، وألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر، وألا يكون له معارض شرعي أو عقلي ، وأن يكون له شاهد شرعي يؤيده، وألا تؤخذ الأحكام عن طريقه لعدم الدليل الواضح عليها.. وما يستفاد منه فهو في مجال الأخلاق وسمو النفس وتقوية الإيمان وتثبيت اليقين، وألا يتحتم على أحد الأخذ بالتفسير الإشاري.. وإنما هي معاني الأسرار القرآنية تنقدح في قلب المؤمن التقي الصالح العالم ، فهو إما أن يبقيها بينه وبين ربه تبارك وتعالى، وإما أن يعلم بها من غير أن يلزم بها أحدا»(٣)، ومستندهم إليه حديث ابن عباس عندما كان عمر رضي الله عنه يدخله على أشياخ بدر عندما سألهم عن سورة النصر(٤)، قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ معلقاً عليه بقوله:« وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات،وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي رضي الله عنه: أو فهماً يؤتيه الله رجلاً في القرآن »(٥)،

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٤٠١).

(٢) انظر: روح المعاني (١/٨).

(٣) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٤٠٣)، ومباحث من علوم القرآن، مناع القطان (ص: ٣٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب: منزلة النبي ﷺ ح رقم ٤٢٩٤ .

(٥) فتح الباري (٨ / ٧٣٦).

وقال ابنُ القيِّم ـ رحمه الله ـ : «وتفسير النَّاسِ يدورُ على ثلاثةِ أصولٍ: تفسيرٌ على اللَّفظِ، وهو الذي ينحو إليه المتأخِّرون. وتفسيرٌ على المعنى، وهو الذي يذكره السَّلفُ. وتفسيرٌ على الإشارةِ والقياسِ، وهو الذي ينحو إليه كثيرٌ منَ الصُّوفيَّةِ وغيرهم. وهذا لا بأسَ به بأربعةِ شرائط: أن لا يناقضَ معنى الآية. وأن يكون معنًى صحيحًا في نفسِهِ. وأن يكون في اللَّفظِ إشعارٌ به. وأن يكون بينه وبين معنى الآيةِ ارتباطٌ وتلازمٌ، فإذا اجتمعت هذه الأمورُ الأربعةُ كان استنباطًا حسنًا»[1]، وقال الشَّاطبيُّ: « وكَونُ الباطنِ هو المرادُ من الخطابِ قد ظَهَرَ أيضًا مما تقدَّم في المسألةِ قبلَها، ولكن يُشترطُ فيه شرطان: أحدهما: أن يَصِحَّ على مقتضى الظَّاهرِ المقرَّرِ في لسان العربِ، ويجري على المقاصدِ العربيَّةِ. والثاني: أن يكونَ له شاهدٌ - نصًّا أو ظاهرًا - في محلٍّ آخر يشهدُ لصحَّتهِ من غير معارضٍ»[2].

فهذا النوع من التفسير ينبغي لمن يقبله أن يأخذه على حذر، وفق الشروط التي وضعها العلماء؛ لأنه ليس طريق تعلمه الدرس والتعلم، أو هنالك قواعد وأسس تنبني عليه، وإنما فتوح ربانية سببها المجاهدات الروحية.

(١) التبيان في أقسام القرآن (٢/ ٨٠).

(٢) الموافقات في أصول الفقه (٤/ ٢٣٢).

المطلب الرابع: المسائل التي تُجْتَنَب في دراسة التفسير:

هنالك جوانب وقعت في التفسير أدت إلى تحريف الكلم عن مواضعه، وأبعدت الناس عن سبيل القرآن وهدايته، وشغلت الناس عن تدبره، والتمتع بجماله، والأولى في دراسة التفسير الابتعاد عنها وتجنبها، وتنقية التفسير مما دخله بسببها؛ لتبقى هدايته ناصعة كما أرادها الله تعالى، وهي المسائل التي أطلق عليها بعض العلماء بالدخيل في التفسير، وهي على النحو التالي:

أولاً: الأحاديث الضعيفة والموضوعة:

الأحاديث الموضوعة والضعيفة التي كثرت روايتها في بعض كتب التفسير يجب تركها ولا يجوز تناولها وذكرها، والاستدلال بها في فهم الآية؛ لأن في الصحيح ما يغني عنها، ولأن الاستنباط منها جنباً إلى جنب مع الأحاديث الصحيحة عيب في التفسير ينبغي التخلص منه، وقد أضر كثيراً بعقيدة الأمة، وقد جاءت الكثير من هذه الأحاديث في فضائل بعض الآيات والسور،وأسباب النزول، وبعض القصص، حتى صارت عبئاً في التفسير يتناقلها الناس كأنها وحيّ معصوم، وشغلت الناس عن التدبر، وقللت من جمال معاني القرآن الكريم، ولذلك كان عند العلماء أن التفسير الذي يخلو من هذا الجانب يعتبر ذلك من مناقبه،كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللهـ عندما سئل عن تفسير الواحدي والزمخشري والبغوي فقال:« وأما التفاسير الثلاثة المسؤول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي، لكنه مختصر من تفسير الثعلبي وحذف منه الأحاديث الموضوعة والبدع التي فيه وحذف أشياء غير ذلك»[1]، وقال معلقاً على بعض الروايات: « ومثل هذا لا يرويه إلا أحد رجلين: رجل لا يميز بين الصحيح والضعيف، والغث والسمين، وهم جمهور مصنفي السير والأخبار وقصص الأنبياء كالثعلبي والواحدي، والمهدوي، والزمخشري، وعبد

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٣٨٦).

الجبار بن أحمد، وعلي بن عيسى الرماني، وأبي عبد الله بن الخطيب الرازي، وأبي نصر بن القشيري -أبو القاسم القشيري-، وأبي الليث السمرقندي، وأبي عبد الرحمن السلمي، والكواشي الموصلي، وأمثالهم من المصنفين في التفسير، فهؤلاء لا يعرفون الصحيح من السقيم، ولا لهم خبرة بالمروي المنقول، ولا لهم خبرة بالرواة النقلة،بل يجمعون فيما يروون بين الصحيح والضعيف، ولا يميزون بينهما، لكن منهم من يروي الجميع، ويجعل العهدة على الناقل، كالثعلبي ونحوه»[١].

ثانياً : الأقوال الشاذة والأفكار المنحرفة :

ينبغي للمفسر الإعراض عن الأقوال الشاذة وعدم ذكرها والانشغال بها، فقد آن الأوان للتخلص منها، وهي كثيرة جاء غالبها في كتب المبتدعة من الرافضة والمعتزلة والأشاعرة والصوفية والفلاسفة وغيرهم ممن تصدوا لهذا العلم بدون تأهل، ولهذا قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : « كثير من المفسرين يأتون بالعجائب التي تنفر عنها النفوس ويأباها القرآن أشد الإباء كقول بعضهم : «طه» لفظة نبطية معناها يا رجل ويا إنسان، وقال بعضهم: هي من أسماء النبي ﷺ مع «يس» وعدوا في أسمائه طه ويس، وقال بعضهم في نون والقلم: إنها الدواة ؛ كأنه لما رأى هذا الحرف قد اقترن بالقلم جعله الدواة، وقال بعضهم في (ص) صاد: إنها فعل ماض مثل رام وقاض...إلى أن قال بعد ذكر عشرات الأمثلة: وأضعاف أضعاف ذلك من التفاسير المستنكرة المستكرهة التي قصد بها الإغراب والإتيان بخلاف ما يتعارفه الناس...مما لو تتبع وبيِّن بطلانه لجاء عدة أسفار كبار»[٢]. والأمثلة كثيرة جداً يمكن مراجعة كتاب الأقوال الشاذة في التفسير نشأتها وأسبابها وآثارها للدكتور عبد الرحمن بن صالح الدّهش[٣] ففيه ما يشفي ويكفي.

---

(١) المصدر السابق (١٣/ ٣٥٤).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٦٩٦).

(٣) طبعة : سلسلة إصدارات الحكمة ، بريطانيا ، ط١/ ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

ثالثاً: المبهمات التي استأثر الله بعلمها:

من علوم القرآن الكريم التي اعتنى بها السلف مبهمات القرآن الكريم وهي على نوعين: الأول: مبهمات يمكن معرفتها والوقوف على ما يدل على الجزم بها، فقد أخرج البخاري عن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس رضي اللَّه عنهما يحدث أنه قَالَ: « **مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطابِ عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عَدل إلى الأراك لحاجة له قال: فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة**»[1]، قال السهيلي ـ رحمه الله ـ: « هذا دليل على شرف هذا العلم، وأن الاعتناء به حسن ومعرفته فضل»[2]. وقد ألف فيه القاضي بدر الدين ابن جماعة كتابه (التبيان في مبهمات القرآن)، وجمع فيه السيوطي كتابه (مفحمات الأقران في مبهمات القرآن)، وهو في هذا النوع يكون من العلوم التي يستدعيها المفسر عند توفر الحاجة إليها.

والآخر: مبهمات لا يمكن الوقوف على ما يبينها من آية أو حديث صحيح أو قول صحابي موثوق، وهو ما ينبغي اجتنابه من علم المبهمات، فإن تكلف علم ما ليس فيه مستند صحيح لعلمه، وليست هنالك فائدة تترتب على معرفته، والبحث عنها التزام ما لا يلزم، ولو أراد الله تعالى ذلك منا لدلَّنا عليه في كتابه أو على لسان نبيه، بل الأولى بالمفسر أن يسكت عن جزئيات

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب :التفسير، باب :﴿ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ ﴾ ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ح رقم ٤٩١٣.

(٢) مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، السيوطي (١ / ١).

سكت عنها القرآن، وأعرض عنها الرسول ﷺ مما لا فائدة من معرفته، فليست الروايات الموضوعة أو الضعيفة أو الأخبار الإسرائيلية بكافية في بيان ذلك حتى يزج بها في التفسير كما فعله بعض المفسرين، وعامة ما لا يعرف من المبهمات إلا بتكلفات ظنية هو مما لا يتوقف عليه عمل، ولا تحتاجه الأمة، فهو مما لا فائدة فيه، والعلم بها هو من فضول الكلام الذي لا ينفع العلم به، والجهل به لا يضر مثل: كلب أصحاب الكهف، وتعيين محل الكهف، وأسماء أصحاب الكهف، والشجرة التي أكل منها آدم عليه الصلاة والسلام، والجزء الذي ضرب منه موسى عليه الصلاة والسلام القتيل[1]، ولذلك قال الزركشي ـ رحمه الله ـ:«لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه كقوله تعالى:﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال :٦٠] قال: والعجب ممن تجرأ وقال: إنهم قريظة، أو من الجن »[2].

رابعاً : التأويلات الباطنية للقرآن الكريم :

أصحاب التفسير الباطني من شيعة ، وغلاة المتصوفة لا يلتزمون في فهم القرآن بالمنهجية التي سار عليها علماء الأمة الإسلامية، مما جعلهم يتلاعبون بنصوص القرآن الكريم كما أرادوا، فهم ينكرون دلالة بعض الآيات حينا،ويحملونها على غير المراد منها حينا آخر، ويتركون المعنى الظاهر حيناً، ويقولون بالباطن وحده حيناً، «وكان من نتائج هذا التفسير الباطني للقرآن أن وجد القائلون به أمام أفكارهم مضطرباً بالغاً ومجالاً رحباً، يتسع لكل ما

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (٥/ ٣٠) ، ومفحمات الأقران في مبهمات القرآن (١ / ١).
(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٥٥).

يشاؤه الهوى وتزينه لهم العقيدة، فأخذوا يتصرَّفون في القرآن كما يحبون، وعلى أي وجه يشتهون»[1]. فالتفسير الباطني يجب الحذر منه واجتنابه؛ لأن من ولجه يمكن أن يصل إلى ما لا يتصور من الضلال كما هو مشاهد في حال بعض الفرق، وليس في نقله أو ذكره فائدة للأمة بل الصحيح والواجب إماتة الباطل بعد ذكره .

خامساً : تفرعات العلوم ودلائلها :

هنالك من العلماء من حاول أن يدخل في التفسير كل شيء، أو أراد أن يدخل كل فروع علمه الذي برز فيه في التفسير، فتجد النحوي حاول أن يبرز كل ما يحتمله اللفظ من وجوهٍ نحويةٍ حتى كأن القرآنَ نزلَ لهذا، وتجد الفقيه يتوسع في الأحكامِ الشرعيةِ من عباداتٍ ومعاملاتٍ حتى أخذ التفسيرُ طابع الفقه، حتى تضخمت بعض كتب التفسير، وبعُد التفسير عن مقاصده، وصعبَ على طلابِ العلم نيل مرادهم منه، ومن هنا كان على المفسِّر أن يتجنب كل ما يخرجه عن دلالات الآية ومحتواها مثل ما يذكره البعض من علل النحو، ودلائل مسائل الفقه وأصول الفقه، ودلائل مسائل أصول الدين وغيرها حتى أصبحت بعض التفاسير توصف بأنها في كل شيء إلا التفسير، قال أبو حيان الأندلسي ـ رحمه الله ـ:« كثيرا ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الإعراب بعلل النحو، ودلائل مسائل أصول الفقه، ودلائل مسائل الفقه، ودلائل أصول الدين، وكل ذلك مقرر في تآليف هذه العلوم وإنما

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون (٤/ ١٣٩ ـ ١٥٠)، ومناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني (١/ ٤٠٢).

يؤخذ ذلك مسلما في علم التفسير دون استدلال عليه »[1]، وقال ابن تيمية - رحمه الله - وهو يتكلم عن كيفية تأمل المفسر لمعاني القرآن الكريم، واستغنائه بمعانيه وحكمه عن غيره من كلام الناس فقال: « ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن إما بالوسوسة في خروج حروفه وترقيقها وتفخيمها وإمالتها ... وكذلك تتبع وجوه الإعراب واستخراج التأويلات المستكرهة التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان، وكذلك صرف الذهن إلى حكاية أقوال الناس ونتائج أفكارهم »[2] .

---

(١) البحر المحيط (١/ ٨) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٥٠ - ٥١) .



الخاتمة

من خلال الدراسات السابقة توصل الباحث للنتائج والتوصيات التالية:

أولاً: نتائج البحث:

١. علوم القرآن الكريم من أشرف العلوم على الإطلاق؛ وذلك لتعلقها بخدمة الكتاب المجيد، ومن هنا أخذت حظها في العناية من عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا،وجعلها العلماء مقدمات لتفاسيرهم، وأفردوا لها المصنفات، وكان الاشتغال بها من أعظم القربات إلى الله تعالى .

٢. ليس كل ما كتب تحت مسمى علوم القرآن الكريم له تعلق بالتفسير، بل هنالك علوم ليس لها تعلق بالتفسير،والجهل بها لا يضرّ في فهم الآية أو يخل بمنهجية الفهم .

٣. هنالك من علوم القرآن الكريم ما يمثل أدوات مهمة للمفسر في الفهم السليم للقرآن، لابد لكل مشتغل بالتفسير من معرفتها،ومعرفة كيفية توظيفها في التفسير والتدبر؛ لأن توظيفها له أوجه متعددة .

٤. علوم القرآن الكريم خادمة في جملتها للقرآن الكريم في سبع مجالات: وهي: مجال التعريف بعظمة القرآن الكريم وجلاله وجماله،ومجال الإلمام بتاريخ القرآن، ومجال الأداء الصحيح لألفاظه، ومجال التدبر وحسن الفهم لمعانيه، ومجال إعجازه وأسراره، ومجال الدفاع عنه،ومجال المحافظة عليه كما أنزل .

٥. توظيف المفسر للعلوم الخادمة للتفسير ينقسم إلى قسمين: علوم لازمة للمفسر في تفسير كل آية، وعلوم يوظفها عند توفر الحاجة إليها فقط.

٦. هنالك سبعة علوم يوظفها المفسر بصورة دائمة في فهم كل آية قرآنية، وهي: البيان النبوي للقرآن، ومرويات الصحابة في التفسير، وأحوال نزول القرآن، وقواعد التفسير وأصوله، وعلوم اللغة العربية، ودلالات السياق ، وعلم الاستنباط .

٧. هنالك علوم يوظفها المفسر عند الحاجة إليها فقط،وهي: علم القراءات، وفضائل الآيات والسور، والنسخ، وعلم المناسبات، وعلم الإعجاز .

٨. هنالك مسائل يأخذها المفسر على حذر لكثرة ما فيها من مزالق واختلافات، وهي: العقيدة خاصة مسائل الصفات، الاختيارات والترجيحات، المرويات الإسرائيلية، التفسير العلمي، والتفسير الإشاري.

٩. هنالك مسائل يتجنبها المفسر في دراسة التفسير حتى لا يقع في تحريف الكلم، أو يحرف التفسير عن مساره العلمي، وهي: الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الأقوال الشاذة والأفكار المنحرفة، المبهمات التي استأثر الله بعلمها، التأويلات الباطنية للقرآن، تفريعات العلوم ودلائلها .

ثانياً : توصيات البحث :

ومن خلال النتائج السابقة يوصي الباحث بالآتي :

١. كتابة تفسير ترعاه مؤسسة علمية يراعى فيه المنهج العلمي المتكامل في توظيف العلوم الخادمة للتفسير، وتتجنب فيها الأمور التي تخل بالتفسير أو تحط من قدره .

٢. التصدي لكل الدعوات التي تنادي بتفسير جديد للنص القرآني يتم تجاوز هذه العلوم الخادمة للتفسير من خلالها، والأفضل أن تتولى المؤسسات العلمية المتخصصة في خدمة القرآن وعلومه ذلك .

٣. إعادة تصنيف مادة علوم القرآن الكريم في موسوعة علمية شاملة يسهل فهمها وتوظيفها في خدمة الكتاب العزيز وفق ترتيب يراعي هذا التصنيف وأولويات كل علم.

٤. إعادة النظر في الكيفية التي تدرس بها مادة علوم القرآن الكريم في الجامعات، من حيث الطريقة والمنهج بما يراعي الأولويات حسب المراحل المختلفة للطالب.

٥. نشر ثقافة مادة علوم القرآن الكريم في وسط أكبر قطاع من أفراد الأمة حتى يسهل عليهم التعامل مع كتاب الله تعالى الذي لا غنى لمسلم من الارتباط به.

تمَّ هذا البحث في ليلة ٢٧ رمضان من عام ١٤٣٢هـ
ببلد الله الحرام، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١ : ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م .

٣- إرواء الغليل وتخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، ط : المكتب الإسلامي ، ط٢/ ١٤٠٥هـ .

٤- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن على بن أحمد الواحدي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٢٢ هـ،٢٠٠١م.

٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، ط: دار الجيل، بيروت،١٩٧٣م.

٦- أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت.

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط : دار صادر، بيروت، ط١/ ٢٠٠١م.

٨- بحر العلوم،نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق د. محمود مطرجي، ط: دار الفكر، بيروت، بدون .

٩- البحر المحيط في التفسير،محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، طبعة جديدة بعناية زهير جعيد، ط: دار الفكر، بيروت ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٠- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، ط: مكتبة المعارف، بيروت.

١١- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي،تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط: دار المعرفة، بيروت، ط / ١٣٩١م.

١٢- بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى، تحقيق الأستاذ محمد على النجار، ط:المكتبة العلمية، بيروت .

١٣- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: الترزي، وحجازي، والطحاوي، والعزباوي،: مطبعة حكومة الكويت، عام ١٣٩٦٥هـ.

١٤- التحرير والتنوير للإمام محمد بن الطاهر عاشور، ط: دار سحنون،تونس، بدون .

١٥- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط : مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، ط١/ ١٤١٥هـ-١٩٩٤م

١٦- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير الدمشقي، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٧- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله [والصحابة والتابعين،ابن أبي حاتم . عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة،ط٢/ ١٤٢٧هـ-٢٠٠١م.

١٨- تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/ ٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ.

١٩- التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح الميسور من التفسير بالمأثور، أ.د. حكمت بشير ياسين، ط: دار المآثر،المدينة النبوية، ط١/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٠- التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ط: دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، بدون تاريخ .

٢١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠ م.

٢٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ط: دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ .

٢٣- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: محمد إبراهيم الحناويِّ ومحمود وحامد عثمان، ط: دار الحديث،القاهرة، طبعة: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

٢٤- دراسات في علوم القرآن، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط: مكتبة التوبة، الرياض، ط٩ / ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

٢٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، ضبطه وصححه على عبد الباري عطيَّة، ط: المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

٢٦- الروضة الندية شرح متن في التجويد، للإمام العلامة المحقق الثقة، أبي الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري الشهير بابن الجزري، تأليف: محمود بن محمد عبد المنعم بن عبد السلام العبد، بدون .

٢٧- شعب الإيمان ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١٠هـ .

٢٨- الصَّاحبي في فقه اللغة وسننِ العربِ فِي كلامها، الشيخُ أبو الحسينِ أحمدُ بن فارِس، ط: دار الكتب العلمية بيروت،ط١/ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

٢٩- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ١٤٠٠هـ.

٣٠- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط:رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ١٤٠٠هـ.

٣١- صحيح مسلم بشرح النووي ، يحيى بن شرف بن مري النووي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١:١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٣٢- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، ط : دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ

٣٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي بن عبد العزيز الشبل، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٣٤- فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة، ط : دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٥- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط: دار الشروق ، القاهرة،ط١٧/ ١٤١٢هـ.

٣٦- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، أ . د .محمد عمر بن سالم بازمول، ط: دار الفرقان، القاهرة ط١/ ١٤٣١هـ ـ ٢٠٠٩م.

٣٧- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم

البغدادي، الشهير بالخازن، ط: دار الفكر بيروت، ط١/ ١٣٩٩هـ.
٣٨- مباحث في علوم القرآن، م ناع القطان، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٩/ ١٤١٦هـ_١٩٩٦م.
٣٩- مجلة المنبر، مجلة فكرية محكمة، تصدر عن هيئة علماء السودان،العدد (١٤) محرم ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
٤٠- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميّة، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، طبعة ١٤١٦هـ_١٩٩٥م.
٤١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢،١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣م
٤٢- مفاتح تدبر القرآن، د. خالد بن عبد الكريم اللاحم، ط : مطبعة سفير، الرياض، ط١ ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٤٣- مفاتيح الغيب للإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠ م.
٤٤- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ط :دار الكتب العلمية،بيروت .
٤٥- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد الحام، ط: دار الفكر، بيروت، ط١/ ١٩٩١م.
٤٦- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام

محمد هارون، ط: دار الجيل، بيروت، ط١/ ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٤٧- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي تحقيق: عبد السميع محمد حسنين، ط:مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٨هـ.

٤٨- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزر قاني، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٨ م.

٤٩- المنتقى في علوم القرآن الكريم، د.طه عابدين طه، ط: دار الأندلس، حائل-السعودية، ط١/ ١٤٢٨هـ .

٥٠- منجد المقرئين ومرشد الطالبين لأبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٥١- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقق: د. محمد رشاد سالم، ط:مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ .

٥٢- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللَّخمي الشاطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط : دار ابن عفان، ط١ / ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥٣- موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة،جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود، لم أقف إلا على هذه الطبعة التي لم يذكر مكانها ولا تاريخها ولا رقمها .

٥٤- موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، أحمد بن محمد الشرقاوي، صدر هذا الكتاب آليا بواسطة الموسوعة الشاملة، المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية .

٥٥- الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة بم نصر المقري، تحقيق: زهير شاويش، ومحمد كنعان، ط : المكتب الإسلامي بيروت، ط١/ ١٤٠٤هـ

٥٦- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي جعفر محمد بن أحمد بن إسماعيل، المعروف بأبي جعفر النحاس، ط : المكتبة العصرية،بيروت، ط١/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٥٧- النشر في القراءات العشر، لابي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، ط: دار الكتب العلمية بيروت، ط٣/ ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.

٥٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١٥هـ.



فهرس الموضوعات



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com